



الامير بشير

تقلاً عن صورة زيتية صنعت في الامتانة وتاريخها سنة ١٨٥٥ . أي بعد
موت الامير بخمس سنوات . وهذه الصورة محفوظة في قصر بيت الدين

المقطف

الجزء الخامس من المجلد السابع بعد المائة

١ ديسمبر سنة ١٩٤٥

٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٦٤

بحث علمي تصنيفي

الثدييات

Mammalia

اختلف الكتاب زمنًا ، ولا يزالون مختلفين ، في وضع المقابل العربي للمصطلحات التي تعبر عن طبقات الاحياء في علم التصنيف Taxonomy (أو) Classification ، ويقصد به ترتيب أصناف مملكتي الحيوان والنبات ترتيبًا تطابقيًا ، بحيث يظهر من ذلك الترتيب سلسلة تطورها ومتواليه نشوئها ، على قدر ما يؤهل بالباحثين علم الاحياء الوصفي ، وأقصد به ما جرينا على تسميته الى الآن علم التارخ الطبيعي حينًا ، وعلم المواليد حينًا آخر ، والمصطلحات الثلاثة طيبة ولا مأخذ عليها ، فلا حرج من استعمالها مترادفة .

ومن أجل أن نتكلم في الثدييات التي هي الشعب الأعلى في الفقاريات ، ينبغي لنا أن نذكر هنا ما انتهى اليه مجمع اللغة العربية في مصطلحات التصنيف ، وبالخري المصطلحات الدالة على مختلف الطبقات . واليك هي :

Group	العشيرة	Kingdom	العالم
Sub-group	العشيرة	Sub-Kingdom	العويلم
Family	العصيلة	Phylum	الأمّة
Sub-family	العصيلة	Sub-phylum	الأميّة
Genus	الجنس	Class	الشعب
Sub-genus	الجناس	Sub-class	الشعب
Species	النوع	Order	القبييلة
Sub-Species	النوع	Sub-order	القبييلة
Variety	الضرب	Tribe	العيرة
Sup-variety	الضرب	Sub-tribe	العيرة

وهناك مصطلحات أخرى لا تدخل في باب التصنيف ، وإنما تدخل في بحوث الوراثة كالنسل والسلالة والبطن والعتره ليس هذا موضع ذكرها .

والثدييات في طبقات التصنيف شعب : Class ، أما الكلمة المستعملة : Mammals فترجمتها ذوات الثدي ، والكلمة الاصطلاحية : Mammalia : الثدييات ، وهو اصطلاح يسهل استعماله لغويًا . ذلك بأن الثدييات لفظة تؤدي أغراض اللغة كاملة ، ونقص أغراض الاستعمال اللغوي من أفراد وتننية وجمع ونسبة الى غير ذلك ، فنقول ثديي وثديان وثدييات ، وتتفادى بذلك ما يقتضيه اثبات اللفظ « ذوات » من الصعوبات إذ سماها بعضهم « ذوات الثدي » . وقد أجاز مجمع اللغة هذا الاصطلاح .

وقد اختلف كثير من الكتّاب على تسمية الطبقة المعينة للثدييات في تصنيف الفقاريات فسمّاها بعضهم « طائفة » وقال الآخرون « قسم » وغيرهم « مرتبة » ، والاصلح أن نخبر على ما أقرّه مجمع اللغة ، فلفظة « شعب » هي عندي أصح هذه الالفاظ . بل لقد تطرّف أحدهم في تعريف معجمي فعرب المصطلح وقال « الماماليا » ، وهذا إفراط لا موجب له . فان الثدييات إحدى شعوب ستة تنقسم اليها مملكة الحيوان ، وهي :

Amphibia	البرمائيات	Mammalia	الثدييات
Pisces	الأسماك	Aves	الطيور
Lower Vertebrates	الفقاريات الدنيا	Reptilia	الزواحف

هذا عند الذين يعتبرون الفقاريات مُسمَّيات من مملكة الحيوان . والذين هم على هذا أكثرية ، وعلى مذهبهم يتعين أن تكون الثدييات شعباً : Class ، وهناك طائفة أخرى ، وهم أقلية ، يعتبرون الفقاريات مملكة Kingdom ، وبذلك يتعين أن تسمى كل من طبقاتها « أمة » : Phylum . وكلا الاعتبارين يمكن الحصول على ما يؤيده علمياً في التصنيف . على أن الأكثرية هم الذين يعتبرون الفقاريات مُسمَّيات ، ورأيهم أثبت .

كذلك ينبغي أن ننبه على خطأ شائع . ذلك قول بعض الكتاب « ذوات الفقرات » تعريفاً بالفقاريات . ذلك بأن الفقرات والفقارات جمعان يستعملان لغوياً لتمييز العدد لا غير . وإنما الجمع المستعمل للدلالة على الجنس هو الفقار . وظني أنه لم يرد غير ذلك في كلام لغوي . وانظر قول ابن منظور في لسان العرب « فقار العجز ست فقارات » فهو يذكر الفقار للدلالة على الجنس ، ويميز العدد بالفقارات . ألم نسمع بأن سيفاً لعل بن أبي طالب سمّي « ذا الفقار » ، لأن به فقاراً يشبه فقار الظَّهْر ؟

أما تفضيل ترجمة لمصطلح : Mammalia بالثدييات فأرجح وجوهه إنها ترجمة على الحقيقة تدل على الصفة الذي أخذ منها المصطلح الأعجمي . على العكس مما لو سميناه « الحيوانات اللبسون » أو « البوننة » كما قال بعضهم خطأ ، فإن ذلك يكون وضعاً على المجاز ، لا ترجمة تطابق المعنى الاصلي ، أي على الحقيقة .

ومحصل ما مضينا فيه من بحث هو أن — « الثدييات شعب من مملكة الحيوان (أو مملكة الفقاريات) يمتاز أفرادها بأن لها ثدياً تفرز اللبن لتغذية الولائد » . وقد دخل هذا الاصطلاح في الاستعمال العلمي في اللغات الأوروبية في أواسط القرن الثامن عشر فذكرتها الموسوعة البريطانية سنة ١٧٧٣ (ج ٣ ص ٣٦٢) . ثم جرى على استعمالها العلماء .

ومما يؤيد ما أذهب إليه في ترجمة هذا الاصطلاح ما جاء في كتاب كبرج « للتاريخ الطبيعي » (ص ١ ج ١٠) فقيه ما يلي : « اشتق اسم الثدييات من أظهر صفة فيها ، وهي أن لها أثداء وحلمات . أما إذا أريد استعمال الاصطلاح بمعنى حرفي ، بحيث لا يحمل من الدلالة أكثر مما يحيز اشتقاقه ، فانه لا يشمل المسلكيات Monotremes أو Monotremata ذلك بأن هذه التسبيلة إن كان لها غداً ثديية ، فإن حلماتها لم تبلغ من التعضي والظهور حداً كبيراً . غير أن في المسلكيات من جهة أخرى صفات تلزمنا اعتبارها من الثدييات » أما تصنيف الثدييات فقد أهديت إلى آخر ما يستنتج من بحوث المواليديين فيه بحسب اعتبار ثقاتهم . فالتصنيف التالي من وضع الأستاذ « ليدكر » Lydekker ، وهو كما يرى

تصنيف يبدأ بالطبقة العليا وينتهي بالطبقة الدنيا :

Class : Mammalia : شعب الثدييات

Sub-class I : الشعيب الأول

Viviparous Mammals (Eutheria or Vivipara)

الثدييات الولود — أو — الولودات

القسم (١) : Section A

المشيميات : Placentals or Placentalia

Order 1 — Primates

القبيلة ١ — الرئيسات

„ 2 — Chiroptera

٢ — الخفاشيات «

„ 3 — Insectivora

٣ — الحشريات «

„ 4 — Carnivora

٤ — اللواحم «

„ 5 — Rodentia

٥ — القواضم «

„ 6 — Ungulata

٦ — الأناعيم «

„ 7 — Sirenia

٧ — الحيتان «

„ 8 — Cetacea

٨ — الحيتان «

„ 9 — Edentata

٩ — الدردارات «

القسم (ب) : Section B

اللامشيميات : Imblacentals (or) Implacentalia

Order 10 — Marsupialia

القبيلة ١٠ — الجرابيات

الشعيب الثاني : Sub-Class II

Egg-laying Mammals (Hypotheria or Ovipara)

الثدييات البيوض (أو) البيوضات

Order 11 — Monotremata

القبيلة ١١ — المسلكيات

أما التصنيف التالي فمن كتاب كبرج للتاريخ الطبيعي في الجزء الخاص بالثدييات تأليف الأستاذ « بدرد » F. E. Beddard ، وهو كما يرى تصنيف يبدأ بأفضل الطبقات وينتهي بأعلاها .

شعب الثدييات : Mammalia : Class

I. Sub-Class : Prototheria شعيب القوارط

القبيلة ١ - المسلكيات أو اللاوذريات Order I — Monotremata or Allotheria

II. Sub-Class : Eutheria شعيب الولودات

Order 2 — Marsupialia	القبيلة ٢ — الجرابيات
„ 3 — Edentata	» ٣ — الدرداوات
„ 4 — Ganodonta (ext.)	» ٤ — الشنديات
„ 5 — Ungulata	» ٥ — الاناعم
„ 6 — Sirenia	» ٦ — الخيلان
„ 7 — Cetacea	» ٧ — الحيتان
„ 8 — Carnivora	» ٨ — اللواحم
„ 9 — Creodonta (ext.)	» ٩ — القرميات
„ 10 — Rodentia	» ١٠ — الفواضم
„ 11 — Tillodontia (ext.)	» ١١ — النهماسيات
„ 12 — Insectivora	» ١٢ — الحشريات
„ 13 — Chiroptera	» ١٣ — الخفاشيات
„ 14 — Primates or Primata	» ١٤ — الرئيسات

والذي يتضح من الموازنة بين التصنيفين ان الأستاذ بدرد يزيد على تصنيف الأستاذ ليذكر ثلاث قبائل جميعها باند ، هي المعرفة بالأرقام ٤ و ٩ و ١١ (ext.) وغرضه من هذا أن يبين طريقة التسلسل في الطبقات وتطور وجودها. وفيما عدا ما ذكر فالخلاف بينهما ضئيل .

اسماعيل مظهر

دار الامارة

أو

قصر بيت الدين

شادها المولى الشهابي الذي جاء بالسعد بشيراً للانام

وعلى باب الحمى قد أرخوا دام نصر فادخلوها بسلام — ١٢٤٥

على قمة من قم لبنان وفي رأس وادٍ شديد الخضرة بديع المنظر والى جانب شلال من الماء الزلال قصر باذخ متين البنيان رفيع الأركان يشرف على دير القمر وبعقلين ويمتد البصر منه الى البحر بحر الروم

هذا هو دار الامارة أو قصر الأمير بشير شهاب أمير لبنان وحليف محمد علي

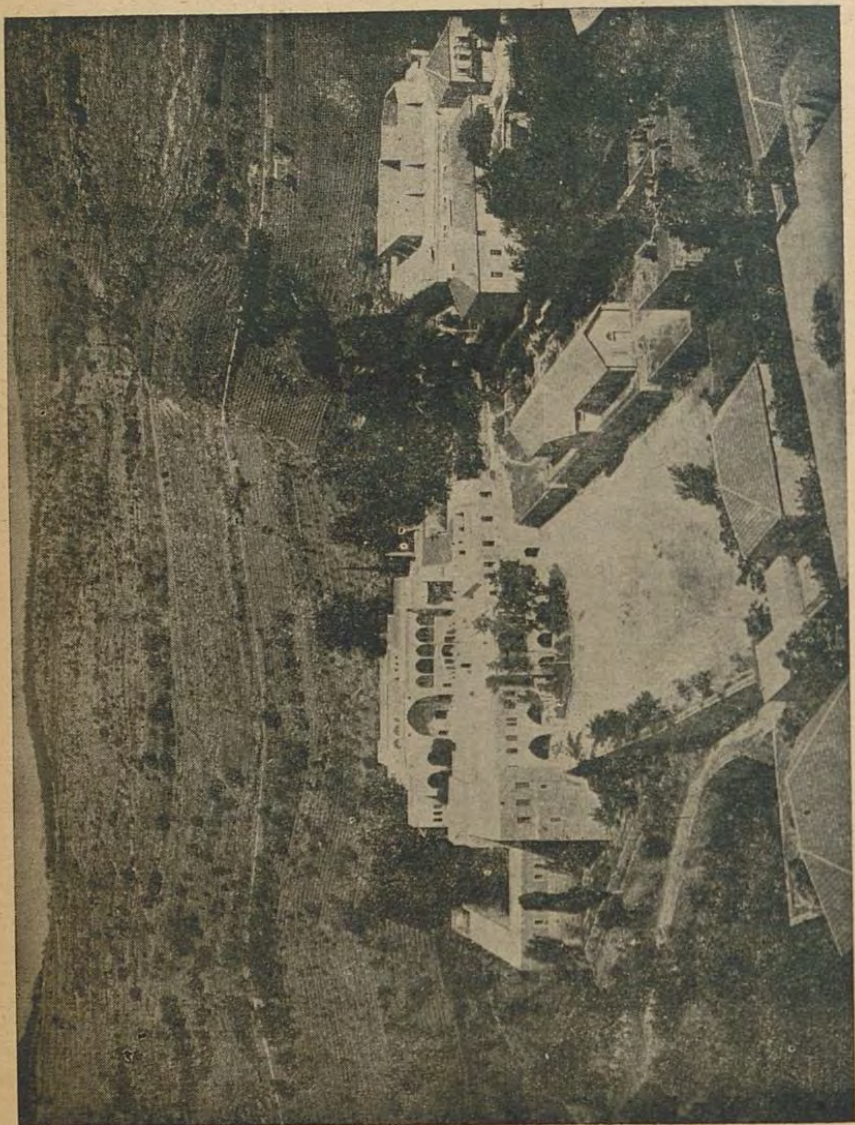
وابراهيم

والقصر بما حوى من دور فسيحة وفسقيات بديعة وأبهاء وحجر وحمامات شرقية فائقة الجمال يدل على خلقي صاحبه وممو تفكيره وحسن تدبيره وجمعه بين القوة والجمال والحسن والجلال

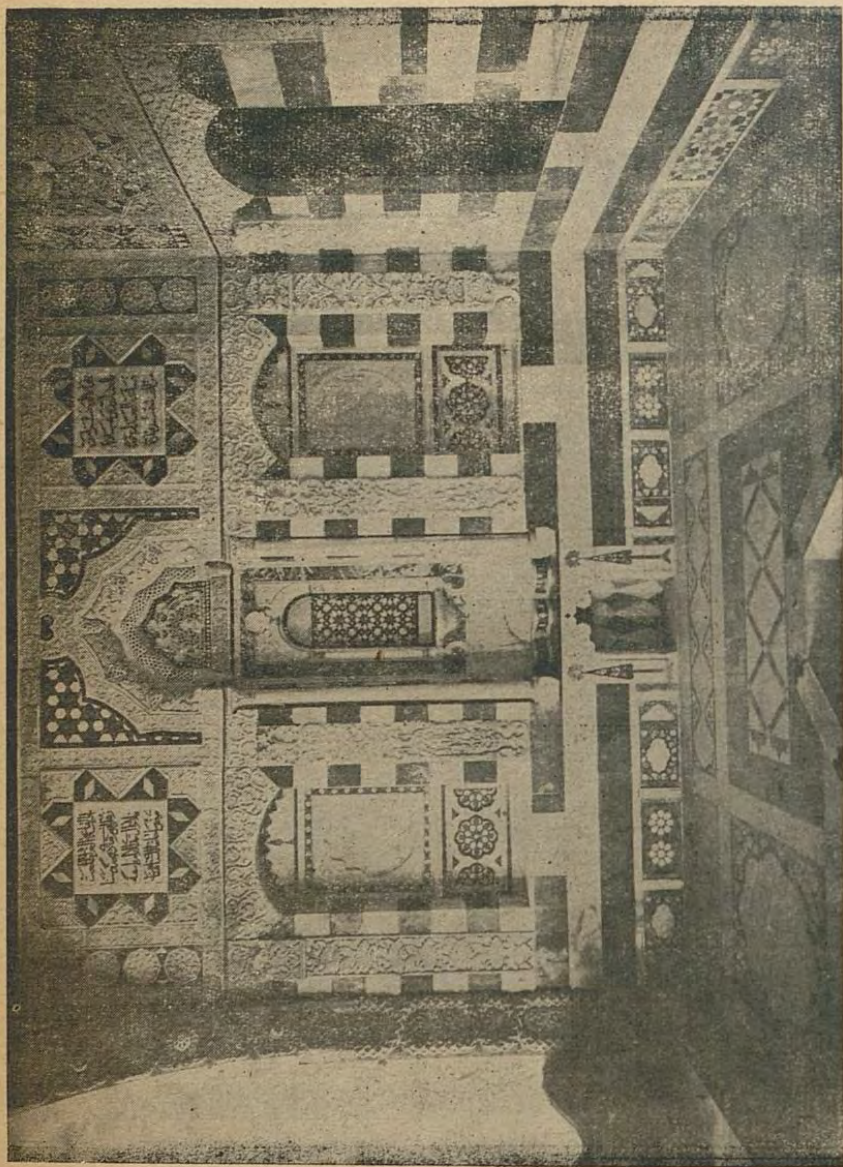
وقد عمدت حكومة لبنان الى اصلاح القصر وترميمه واعادته الى سابق بهائه وبناء بوابته الكبرى ومدخله المتوسّس الى الميبدان ، وقد نسفا بانفجار الذخيرة العسكرية في

سنة ١٩١٢

وعهدت في هذا الاصلاح والترميم الى عالم أثري كبير هو الأمير موريس شهاب مدير مصلحة الآثار اللبنانية فدرس تاريخ القصر وجمع ما استطاع الوقوف عليه من صورته ووصفه ووضع خططاً محكمة للاصلاح والترميم واستعان بصناع بارعين من البنائين والتجارين وجلب من دمشق ومساها أبواباً ونوافذ ومقوفاً عربية من الخشب المزخرف والمطعم والملون لاستعمالها في الترميم

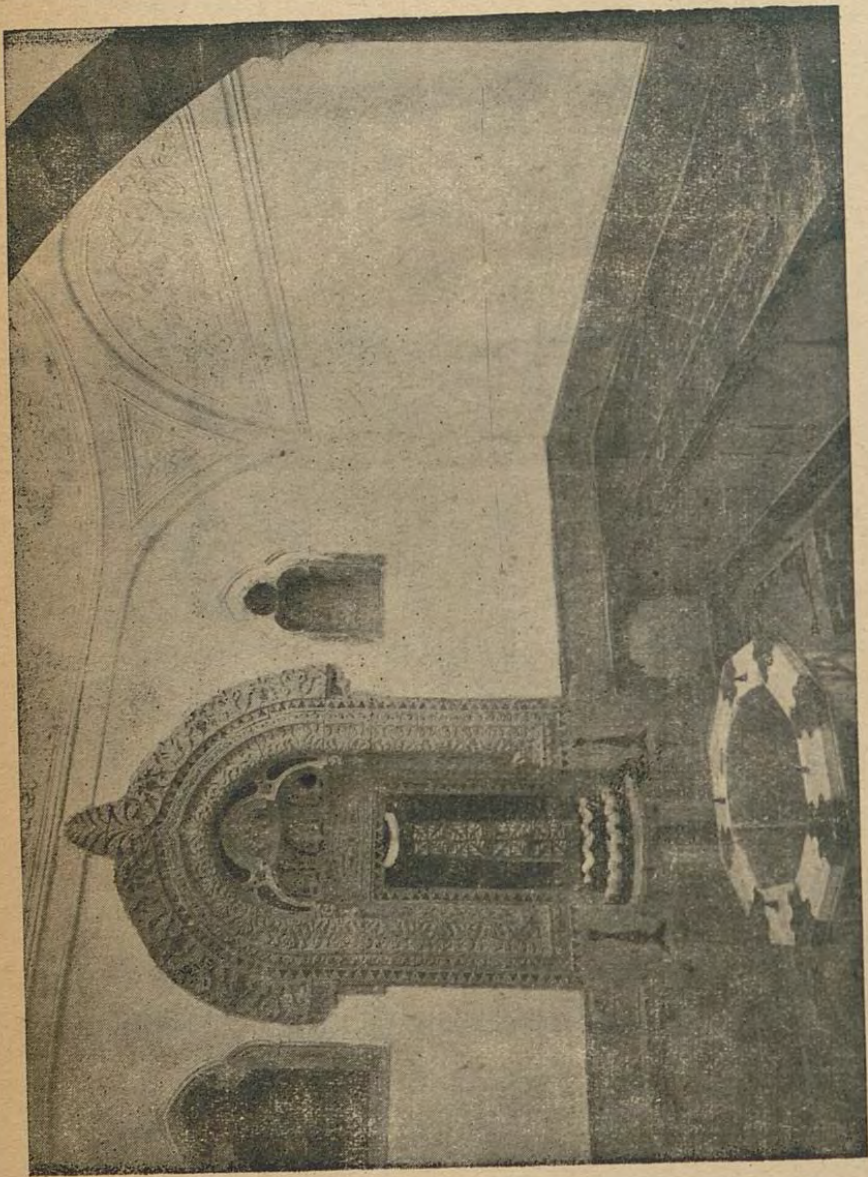


بيت الدين
مشهد عام لقصر الأمير بشير



بيت الدين
مشهد في يهو الاستقبال (قاعة العمود)

بيت الدين
غرفة الدلك في الحمامات



والقصر يجمع بين الحسن والفخامة وله حديقة من الحدائق التي صنعت للاحلام والى جانبها حمامات شرقية لثلاثين مستحمًا أرضها من الرخام المجزع المختلف الألوان وفيها أجران من المرمر ينحدر اليها الماء الساخن والماء البارد من حنفيات في واجهات بديعة من الرخام الملون والفسيفساء

وأجل ما في القصر البهو الكبير المعروف بقاعة العمود ممي كذلك تقلاً عن بهو كبير في قصر دير القمر قائم على عمود ضخمة في وسطه وقاعة العمود مزخرفة الجدران بالأساليب الشرقية البديعة من رخام ملون ومقرنص ومنقوش ومحفور وفيها استقبال الأمير بشير ابراهيم باشا الكبير والسقف عربي مذهب وقد جدد من نحو ٤٠ عاماً فزاد البهو جمالاً وبجواره مدخل دار الحرم تعلوه قنطرة كبيرة تستوقف النظر وجدران جميلة المنظر كثيرة الألوان وقد نقش عليها أبيات شعر من نظم المعلم بطرس كرامة كاخية (سكرتير) الأمير وهو ناظم البيتين الذين نشرناهما في صدر هذا المقال وقد نقشا على باب القصر الأكبر المؤدي الى صحن الدار العظيم حيث الفسقية الكبرى وفي دار الحرم غرف كثيرة للنوم وأنهاء للاستقبال وهذه الأبناء مزخرفة وأرضها من بلاط الرخام المختلف الألوان وفي الحديقة قبة تحتها قبر من الرخام الجميل دفنت فيه زوجة الأمير الأولى فرقدت في محيط من النور والحسن والبهاء ورقد قرينها العظيم في دير أرمني في استانبول حيث توفي منفيًا بعد خروج ابراهيم باشا من سورية ولبنان

وبعد حوادث ١٨٦٠ وإنشاء حكومة المتصرفية في لبنان اشترت الدولة العثمانية القصر من زوجة الأمير الثانية وجعلته مقرًا للحكومة لبنان المركزية وأضيف اليه بعد ذلك مبان

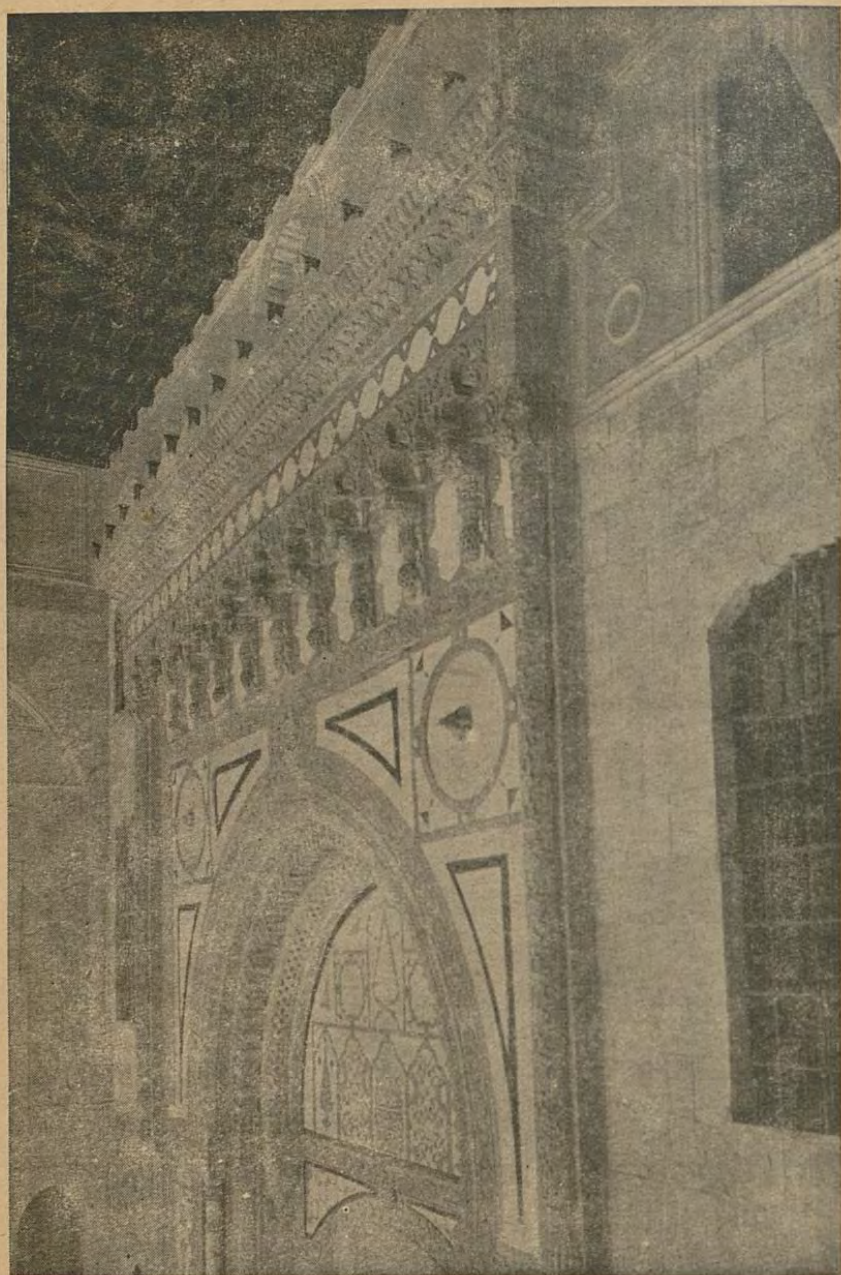
لا يواء بعض مصالحها كجلس الإدارة ومحكمة الاستئناف وثكنات للجند وقد هدمت هذه الشكن الآن لإعادة القصر الى شكله السابق وفي الدور الأرضي للقصر أقيمت عظمة كانت اصطبلات لخيل الأمير ورجاله وهي متصلة بالحديقة

والقصر كله مجهز بالماء وفي أقسامه فسقيات كبيرة وصغيرة تسقى بماء ينبع القاع، وقد جره الأمير صاحب القصر مسافة ١٧ كيلو متراً وانتهى في بيت الدين تجاه القصر الى شلال جميل يسمع صوت انحدار مائه في ذلك الوادي كله وبني الأمير قصوراً لأنجاله الثلاثة وهم الأمراء قاسم وأمين وخليل وبني لنفسه مصيفاً فوق بيت الدين هو الآن كرمي مطران الطائفة المارونية لصيدا ودير القمر. وقد جدد سيادة المطران أغسطين البستاني بناءً وبني فيه كنيسة بديعة الصنع

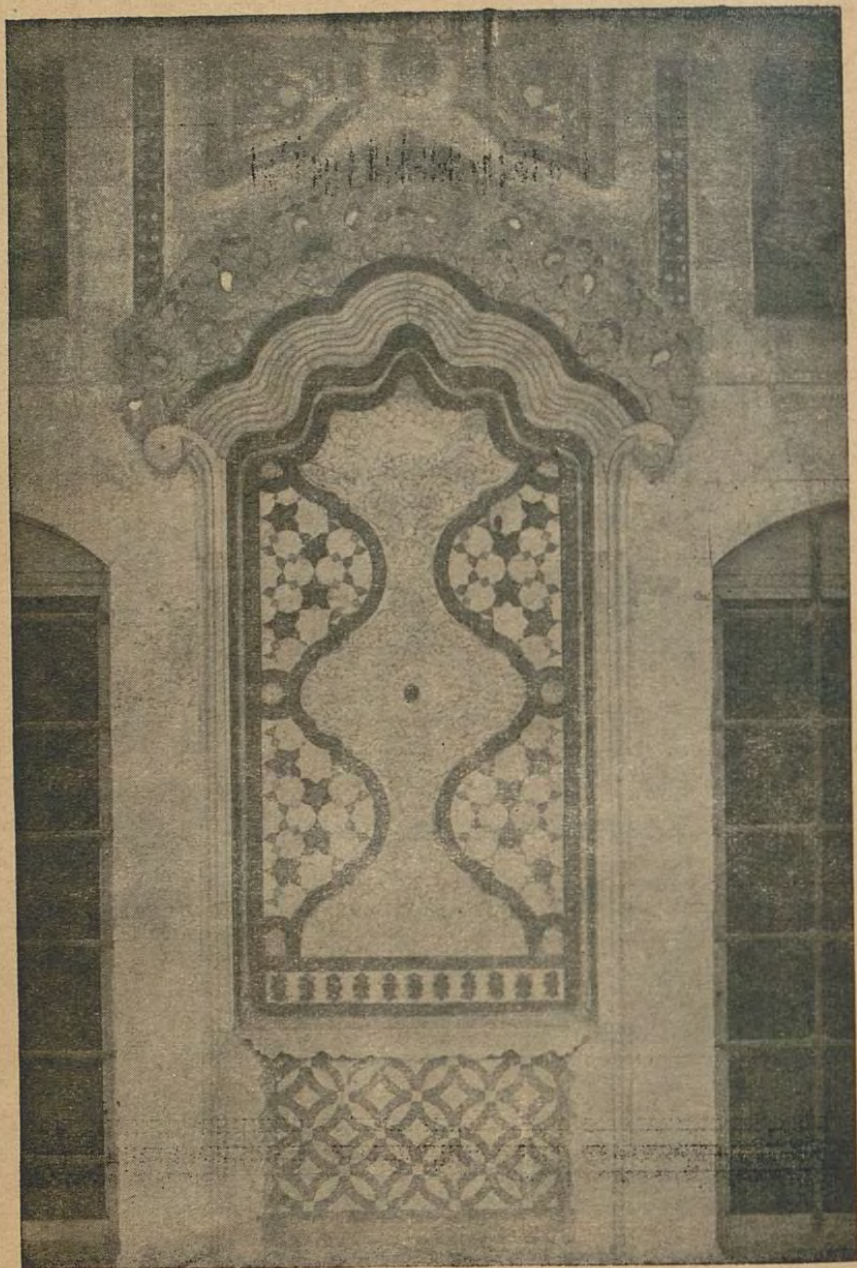
وهناك مشروع لبناء فندق كبير في بيت الدين يمر اليه ماء الشلال قبل انحداره ويشترط الأمير موريس شهاب أن يكون طراز بناء الفندق كطراز بناء القصر واقترح بعضهم بناء كازينو منفصل عن الفندق وشرعت الحكومة اللبنانية تصالح الطرق المؤدية الى بيت الدين من أربع جهات وعينت لذلك مليوني ليرة لهذا الغرض وهناك حركة يراد بها نقل رفات الأمير صاحب القصر من مدفنه في استانبول الى لبنان فيدفن في حديقة قصره لينعم به في مماته كما نعم به في حياته وقيل لنا أن نخامة رئيس الجمهورية اللبنانية سيقضي جانباً من فصل الصيف في هذا القصر وهو يزوره الآن ويقسم فيه أياماً وليالي في الصيف فيشترف على أعمال الإصلاح والترميم ويستريح من عناء الأعمال الرسمية ويمتع النفس بمناظر تشرح الصدور وتقر العيون.



باب دار الحرم في قصر الأمير بشير



نقوش المدخل الكبير لدار الحرم السفلي والسلامك



حنية في ايوان دار الحرم العليا



قاعة استراحة
في قصر الامير بشير

ابل العم سام

لما أمنت الولايات المتحدة الأميركية في التبسط غرباً الى ما وراء المسيسيبي ، أخذ بعض المفكرين وأصحاب المصالح فيها يهتمون بتسهيل سبل المواصلات بين الولايات الشرقية والبلاد المفتوحة جديداً . وزاد هذا الاهتمام على أثر الحرب المكسيكية التي انتهت سنة ١٨٤٨ اذ غنمت الولايات المتحدة البلاد التي تشغلها الآن ولايات اريزونا ونيفاذا ويوتاه ونيو مكسيكو وكاليفورنيا وأقسام من ولايتي ويومنغ وكلورادو .

ولم تكن السكك الحديدية مدّت الى الجبال الصخرية ^(١) بل كان الاعتماد في النقل والانتقال على العربات والخيول والبغال أو على السفن تدور حول أميركا الجنوبية بطريق مضيق مجلان . واهتمت وزارة الحربية كثيراً بأمر المواصلات في هذه البلاد الجديدة لأنها أقامت كثيراً من الحاميات العسكرية لتأمين المهاجرين الذين تقاطروا لاحتطاط الأراضي الزراعية أو للبحث عن الذهب الذي اكتشف في كاليفورنيا سنة ١٨٤٨ . فزادت نفقات الحكومة كثيراً لكثرة الحاميات وتفرقها وصعوبة نقل مؤنّها ومعداتها . وقام أناس يشيرون باستيراد الابل والاعتماد عليها بدلاً من الخيل والبغال لأن البوادي تكثرت في هذه البلاد الجديدة كما تكثرت في البلاد العربية وشمال افريقية فلا شك ان الحمل يصلح بها .

وتألفت في نيويورك شركة لاستيراد الجمال والرايح عندي انها وقعت دون اتمام العمل ولم تستورد شيئاً . وقيل ان الاسبانين جربوا الجمال في بيرو فوجدوا الياما llame أصلياً منها في تلك البلاد . وجلب أحد الجلاليين بعض الجمال الى فرجينيا حوالي سنة ١٧٠١ وجرّبها بعضهم في جامايكا فلم تأت هذه المساعي كلها بفائدة . ولما تولى جفرسن دافنس ^(٢) وزارة الحربية الأميركية رأى أن يستورد بعض الابل

(١) تم مد السكة الحديدية التي وصلت الباسيفيكي بالاتلنطيكي أولاً سنة ١٨٦٩ .

(٢) هو الذي تولى بعد ذلك رئاسة الولايات الجنوبية التي خرجت على الاتحاد الاميركي في الحرب الاهلية الاميركية

فوافق الكونغرس وخصص في ٣ من مارس سنة ١٨٥٥ ثلاثين ألف دولار لهذا الغرض. وانتدب المهمة ضابطين هما الماجر « هنري واين » Wayne والملازم « دايفد بورتير » Porter. فتولى « واين » أمر شراء الجمال وما يلزمها وتولى « بورتير » أمر السفينة التي خصصت لنقلها.



النصب التذكاري لإبل العم سام

وسافر واين إلى أوروبا ليجمع المعلومات عن الجمال ثم وافاه بورتير بالسفينة فتوجها إلى تونس حيث اشترى « واين » جملا وأهداه الباي جملين . وأتى الاسكندرية وكانت الحكومة المصرية قد حظرت إخراج الحيوانات من مصر ولكن سمح لواين بشراء بعض الجمال بأذن خاص فاشترى تسعة كان أنفاسها ناقة عمّانية وخيل سناري . ولم يذهب إلى

الموانئ السورية إذ لم يكن فيها وسائل لنقل الجمال من البر الى السفينة فتوجه الى أزميز فاشترى فيها من الجمال ما اشترى ولكن بأسعار عالية إذ كانت حرب القرم دائرة الرخي والجمال تشتري بالآلاف للشؤون الحربية . ثم زار استانبول وبلا كالا في القرم حيث أكرمته الضباط الانكليز وأطلعوه على كل ما شاء من أمر الجمال التي كانت معهم .

وقفلت السفينة راجعة بطريق أزميز والاسكندرية وكان فيها عدا الابل أناس استؤجروا من مصر وأزميز ليعتنوا بالجمال ويتعلم منهم الأميركيون . ووصلت الى انديانولا بساحل تكسس في ١٤ من مايو سنة ١٨٥٦ فأنزلت الى البر ٣٣ جلاً وبضعة من الجمال المستأجرين ، ثم عادت الى البحر المتوسط فعدت سنة ١٨٥٧ بسبعة وأربعين جلاً أخرى . وسيقت الابل كلها الى « كامب ثردي » على نحو ٦٠ ميلاً من سان الطونيو حيث شغلت في فتح الطرق ونقل الاوزام العسكرية .

وانتدبت وزارة الحربية الملازم « ادورد بيل » Beale ليرود طريقاً من فورت دفاينس بنيو مكسيكو الى القسم الجنوبي من كاليفورنيا على محاذة الخط الخامس والثلاثين في العرض الشمالي . وجهزته بما يلزم من الرجال والخيول والبغال ٢٨ جلاً . فاختار بيل فصل الحر والجفاف ليمتحن الابل في أصعب الفصول ، فسار الى الباسو على حدود المكسيك ومنها الى البوكركي ثم « فورت دفاينس » .

وتخلف أكثر الجمال المستأجرين من الشرق الأدنى عن مرافقة بيل في هذه الرحلة . قيل انهم كرهوا التعرض للأخطار وقيل ان أجورهم لم تدفع لهم حسب الشروط المتفق عليها ولكن بقي معه اثنان هما جورج الأغريقي والحاج علي . وبدأ « بيل » إرتياد الطريق الجديد من « فورت دفاينس » في آخر أغسطس سائراً على محاذة الخط الخامس والثلاثين من العرض الشمالي حتى عبر نهر السكورا دو الفاصل بين أريزونا وكاليفورنيا في ١٨ أكتوبر وكان بذلك ختام مهمته . وقد ثبت الآن أن بيل كان موفقاً في إرتياد الطريق إذ قد مدّت على تخطيطه سكة حديد الستيفي وفتحت طريق السيارات رقم ٦٦

وأعجب بيل بالجمال وإمتدح صبرها على العطش وإقيتها بنبات البادية ومقدرتها على نقل الأحمال الثقيلة . ولكن بعض الجنود ممن كان معه تبرموا بها خصوصاً لأن الخيل والبغال كانت تجفل منها .

وبعد عبور الكورادو توجه بيل بالجمال إلى فورت تاهون في جهات بايكرسفيلد في كاليفورنيا . وقيل أن يصل إلى سان برناردينو أرسل الحاج علي في أثناء الطريق بمجملين إلى لوس أنجلس فقطع الحاج ٦٥ ميلاً في ٨ ساعات . ولما وصل إلى ساحة لوس أنجلس فقرت الخيل والبغال وذعرت الأولاد وسار الخبر في القرية فتألب أهلها لرؤية المجملين والجمال الغريب الذي . ثم لحق بالملازم « بيل » في المركز العسكري بفورت تاهون ، حيث بقيت الجمال تعمل في النقل والجري والركوب والأميركيون بين معجب ومستحقر حتى بدأت الحرب الأهلية فشغلت الناس عن الجمال كما شغلته عن غيرها . ثم باعها الحكومة إلى بعض التجار فاستخدموها في النقل فكان بعضها ينقل الملح من بعض المناجم في نيثادا وجيء ببعضها إلى سلفركنغ بأريزونا لنقل القضة إلى خليج كاليفورنيا .

وأخيراً أُطْلِقَتْ في الجنوب الغربي من أريزونا لتعيش وتتوالد كحيوان البر ونشأت الخرافات حولها . ومن هذه الخرافات ما شاع عند بعض الهنود من إن جملاً تمرّد على إلهة الرعد والبرق فسخته جبلاً هو المعروف باسم « كميل باك » أي سنام الجبل بظاهر مدينة فينسكس . ومنها خرافة شاعت بين السذج إن جملاً كبيراً عليه راكب مشدود إليه بالسيور كان يرى في الليالي القمرية ، ولكن الراكب كان ينقص إرباً فارباً حتى إذا قبض على الجبل لم يكن عليه غير السيور التي كانت تشد الراكب

وقيل إنها تسكّرت في أريزونا بين « يوما » و « طوصان » وكان بعض المسافرين يرونها أحياناً وكان المكاريون والبقارة يقتلونهم لأن حيواناتهم تحفل منها أو لحماية المرعى وما لم يقتل أو يمت منها أمسك فبيع لحداث الحيوان . قيل أن آخر ما شوهد منها جلان في جهة كوارتسيت سنة ١٩٠٩ .

والشائع عند أهل أريزونا الآن أن الجمال لم تصلح لهذه البلاد لأن بواديها غير رملية كبوادي البلاد العربية بل يكثر فيها الحصى الذي يؤدي إخفاف الإبل . وقد نقل بعض الكتّاب أن بعض الجمال التي أرسلت إلى نيثادا صنعت لها أحذية من الجلد . ولكن بيل لم يذكر ذلك في تقريره بل امتدح غناها عن البيطرة وفضلها على البغال والخيول من هذا القبيل . أما الجمال الذين جيء بهم من الشرق الأدنى فالذين خرجوا من خدمة الحكومة الأميركية في سان أنطونيو كما تقدم ، لم أجد ذكرهم في الكتب التي اطاعت عنايتها . وجورج الأغريقي قتله مكسيكي في شمال أريزونا . خلافاً بينهما على لعب الورق على قول ، وانتصر في

نيومكسيكو على قول آخر . واشتهر بكثافة لحيته . ومن غريب ما روي عنه أن هندية رماه بنبله فلم يكذب يحدشه لأن لحيته وقته كالدرع الكفافها .

أما « الحاج علي » فعمر طويلاً ويجلّ ذكره مؤرخو أريزونا ويحسبونه من رواد الحضارة فيها Pioneer . وقد تضاربت الآراء في أصله فلا يعلم هل كان عربياً أم تركياً أم أغريقياً . حادثت ملفرد وزير مدير مكتبة المشتري في أريزونا وصاحب بحث في الحاج علي فقال لي أن « هاي جلي » كان أبوه عربياً وأمه سبينة إغريقية غنمها بعض العرب في الغزو . وكان اسمه الأصلي فيلب تادرو أما اسم هاي جلي Hi Jolly فلقب اكتسبه في أميركا وهو تحريف « الحاج علي » .

ولما باعت الحكومة إبلها اشتغل الحاج علي دليلاً للجنود في تعقب الهنود الخليلين بالامن ومكاريًا ينقل السلع واللوازم الحربية . ولما خرج من خدمة الحكومة عمد إلى البحث عن الذهب في أريزونا وشمال المكسيك ثم مات حتف أنفه في بلدة كوارتسيت القريبة من نهر الكورادو في الجنوب الغربي من أريزونا في ١٦ ديسمبر من سنة ١٩٠٢

وسنة ١٩٣٥ اهتم بعض الموظفين في مصلحة الطرق العمومية لولاية أريزونا بقبر « الحاج علي » فأقاموا فوقه نصباً تذكاريًا بشكل هرم علوه عشرة أقدام فوقه تمثال جمل من النحاس علوه قدمان . وأودع في الهرم في جملة ما أودع قسم من رماد جمل وأوراق الحاج علي وثلاث قطع من النقد الأميركي قيمتها أربعون سنتاً كانت في جيبه لما توفي . وعلى وجه الهرم لوح من النحاس فيه : —

« المناخ الأخير للحاج علي . ولد في بعض نواحي سورية حوالي سنة ١٨٢٨ . مات في كوارتسيت ديسمبر ١٦ سنة ١٩٠٢ . جاء هذه البلاد في ١٠ من فبراير سنة ١٨٥٦ . جمال — مكار — وظل أكثر من ثلاثين سنة مساعداً أميناً لحكومة الولايات المتحدة . مصلحة الطرق العمومية لولاية أريزونا سنة ١٩٣٥ . ودشن هذا النصب في يناير من سنة ١٩٣٦ واشترك في حفلة التدشين حاكم أريزونا ونائب عن حاكم كاليفورنيا

وربع نادر

ماسا أريزونا

فصل الخطاب

في الارواح



عاد الأستاذ العلامة الروحاني احمد فهمي ابو الخير ينشر على قراء المقتطف درر علمه الواسع في الارواح فضلاً عن العلم الفيزيقي والفلسفي الخ . فلا ثمانى صفحات . ولو وسعه المقتطف لملاه كله من علمه الغزير .

وكننت أقف في هذه المناقشة عند هذا الحد (لأنه عبث أن تتمادى فيها وهو محاط بطفحات من الارواح تحجب عنه حقائق الهيولي) ، لو لا أن عنجهيته قدفت قدائف صغيرة لا تؤذي ولكنها تضحك . ومنها قوله : « وهو (أي أنا) يدعى في جرأة غريبة (كذا) انه اطلع على مؤلفات جينز واينشتين وادينجتون » — حقاً انها جرأة .

ومعناه ان مؤلفات هؤلاء الأقطاب العاداء لا يمسه إلا الفلاسفة المطهرون من أمثاله . ومن يطلع عليها غيره يكون وقحاً أو جريئاً . وهو يستغرب هذه الجرأة من سواه .

فيا لها من عنجهية جريئة يظهر فيها الأستاذ ابو الخير عبقريته المبدعة وفلسفته البارعة وتشرق منها أنوار علمه الساطعة

ثم يهزأ بلغتي « الفصحى » في كتابتي أسماء Jeans و Einstein و Eddington هكذا تجينز واينشطين وادينجتون . وكان يجب أن أكتبها كما وردت في معجمات اللغة كتاج العروس ولسان العرب هكذا اينشتين وادينجتون وجينز . فأعذر لجناحه بأنني لم أراجع قواميس لغتنا الفصحى لكي أنقل عنها هذه الأسماء مضبوطة .

ثم استرسل جناحه في نقد كتابي « هندسة الكون حسب ناموس النسبية » واسبى أن

كتابي هذا ليس موضوع المناقشة وإنما أرواحه موضوعها . ولا بدع أن ينسأها ما دام قصده انتقادي على أي حال ، وهدفه التهكم إذا لم يصب نقطة منقودة في مناقشتي . وكان مما انتقده في كتابي ترجمتي المجال المغنطيسي أو الكهربائي بالجو المغنطيسي . وعندي أن الجو أصبح من المجال لأن المفهوم من المجال أنه ذو بعدين طول وعرض . ولكن الجو ذو ثلاثة أبعاد وهو طول وعرض وعمق وهو الصواب أو الأصوب . ومع ذلك لا مانع عندي من استعمال « المجال » إذا أثبت في قاموس الجمع العلمي المنتظر .

ثم انتقل من نقد كتابي إلى آراء بعض العلماء في « المذهب الآلي » والتلويح إلى انهياره (في لغة أستاذنا الفصيح) . والعلماء متى اصطدموا بمجهولات الكون التي يستحيل أن تعرف كاللأنهاية مثلاً أو تعذر عليهم تفسير اتصال المادة بالعقل ، جنحوا إلى افتراض ما يترأى من الصور في عالم المجهول ، لكي يرضوا شهوتهم لمعرفة أسرار الطبيعة .

وتمادى أستاذنا في هذا الباب وسرد من أقوال العلماء عدة أشياء ونسي أرواحه .

ان موضوعنا هو الأرواح واستحضارها ! فما لنا والمذهب الآلي والمجال الكهربائي الخ .

كاد يقسم جنباه بالأنبياء والرسل اني لم أطلع على شيء من كتب الروحانيين . أجل لم أقرأ سوى كتاب واحد نسيت اسم مؤلفه . فما كان أقوى حجة من الأستاذ أبي الخير . ولكنني لم أفهم منه ولا من أستاذنا ما هي الروح . ألا يجب أن نعرف الشيء الذي نتناقش فيه ؟ أم يريد أن تتلمس الشيء المفروض في ظلام العالم المجهول .

كل ما كتبه أستاذنا لكي يقنعني ويفحميني لم يستملني الى حظيرته . ولكنه حصرتني فيها بإيراد بعض عجائب استحضار الأرواح . وأعجبها وأغربها وأكثرها إدهاشاً حادث طبيب جراح حضرت روحه بعد ١٧ سنة من وفاته بين ثمانية من زملائه الجراحين وعمل في الظلام (لماذا في الظلام ؟) عملية الزائدة الدودية لريض . ولما انتهى منها أنار الزملاء نور الغرفة ، فاذا المريض مضمد الجراح وقطعة الزائدة موضوعة في الكحول في أثناء زجاجي .

وذكر حادثة أخرى مثلها . ثم ذكر حوادث أخرى كلها عجائب وغرائب من هذا الطراز .
 حقاً أن هذا الحادث العجيب أي حادث الطبيب الميت الحي ، أعظم مقنع بعالم الأرواح
 واستحضارها — ولكن هيئات من يصدق .
 إذا كنت أصدق هذه القصة وأؤمن بعالم الأرواح فبالأولى إن أصدق عجائب
 سنت ترايز وميدة لورد .

ولكن أستاذنا يصدق . ولذلك يطالع كل كتاب وكل مجلة تنشر هذه الأقاصيص
 العجائبية . ويأخذها أمراً مسلماً به كأنه شاهدها بعينه . فما أحراه بأن يطوف على العجائز
 ويستميلهم أخبار عجائب الأولياء والجن وليست المجلات التي تروي قصص الأرواح بأقل
 وأصح من أخبار العجائز . وأوجه أستاذنا إلى مجلة للغة الانكليزية تسمى استرولوجي أي
 علم التنجيم فهي محشوة بالعجائب التي هو مغرم بها .

سمعاً يا أستاذنا . إذا قال العلماء مثل اوليفر لودج وكونان دويل وستيد وفلامريون
 وغيرهم من أساطين العلماء كما تقول أنت ، فركزهم العلمي لا يثبت صحة أقوالهم الروحية .
 « لكي نصدق نريد أن نرى آية من السماء » .

لا أصدق رواية الطبيب الميت الذي عمل العملية الجراحية بعد ١٧ سنة من وفاته ولو
 كنت أعرفه حياً وشاهدته بعيني رأسي يعمل العملية ، فلا أصدق ما ناقض النواميس
 الطبيعية . وليس ثمت شيء ما وراء الطبيعة . أكذب نظري لأنه غشني ، ولا أكذب
 السنة الطبيعية .

انتهى كلامي في هذه المناقشة العقيمة . وهنا أترك الكلام المطلق لأستاذنا أبي الخير
 ليشرح علمه الواسع نقرؤه باممين .

الفلسفة

والانتخاب الطبيعي

هذا جزء من فصل من كتاب «الالوهية والفكر» تأليف آرثر جيمس :
إرل أوف بلفور ، الذي ترجمه محرر هذه المجلة وهو الآن تحت الطبع .

- Theism and Thought, Arthur James, Earl of Balfour.

كانت نظرية الانتخاب الطبيعي من الانتصارات العظمى في القرن التاسع عشر. وبالرغم من حقيقة أنه في ضوء البحوث التي تلت ذيوها ، لم تظهر أنها قادرة على تحقيق كل ما توقعنا منها، فإن ذلك لا يزل مكانتها باعتبارها نقطة تحول في التفكير العلمي .

الى هنا وبالقدر الذي يهم من وجهة هذا المبحث ، نلاحظ نقصاً مستباناً فيه ، بالرغم مما قد نقدر له منه قيمة باعتباره اداة تطويرية ذات أثر بيّن ، ظلت عاملة خلال دور زمني قصير نسبياً . نحن هنا نزن تلك الشبكة العنكبوتية التي تصل معتقدات العصر الحاضر ، أي معتقداتنا جميعاً ، بالمادة والطاقة في حالة توزيعهما القديم الأولي — أي كما كانت في العصر السديمي قبل أن تتكوّن الأجرام السماوية . في فترة مجهولة لدينا، وبالخري فترة غير معروفة، وفي مدى ذلك التطور النشوي ، برز سيار هيّ بمجموعة من الخصائص والحالات التي يعرفها العلم في حالته الحاضرة ، وكان من طبيعتها أن تنطوي على الحاجات الضرورية اللازمة لتنشئة صورة ما من صور الحياة العضوية . في الطور الذي قطعته ذلك السيار مستكملاً العدة لتنشئة الحياة ، لم يكن هنالك من محل للانتخاب ، وكذلك لم يكن للانتخاب من أثر في تهيئة المدرج التالي من مدارج التطور — وأعني به ذلك المدرج الذي شهد بدء الحياة ، وهو أعظم المدرج الانقلابية جميعاً . قبل وقوع ذلك الحادث الانقلابي ، لم يكن لنا من معرفة بما يضاف من جملة الأشياء أو يستخلص منها . ان عوالم لا عداد لها ولدت ثم بادت . ولكن أعظم ما وقع من نكبات وأحداث في عالم الأجرام ، لم يتجاوز حد أنه توليف

مُساعد لما كان موجوداً بالفعل . تتالت التغيرات واحدة إثر أخرى ، على مقاس من العظمة والفخامة قلما يتصور . غير أن عامة هذه التغيرات الفوزيقية ، لم تأت بمجديد فيه صفة الاصالة والجوهريّة . لم يكن في النتيجة من شيء ، تشكّل بصورة أو بأخرى ، لم يسبق له وجود في العِلَّة . والكون لم يأت بشيء جديد ، اللهم إلاّ إعادة تنسيق نفسه . ولكن بزوغ الحياة بدأت دورة جديدة . ومهما يكن من أمر ما اعتنق من فكرة ، فلست أدعي هنا أن الحياة ، حتى في أدنى مدارجها ، أكثر من توزع ضروب خاصة من المادة صبّت في قوالب معينة ، وأن أفعالها وأركاسها ^(١) جميعاً ، قد تفسر بمقتضى سنن الكيمياء والفوزيقا تفسيراً كاملاً . فعلى أي وجه تقلب هذا الرأي ، فلا شكّ يساورنا مطلقاً في حقيقة الشعور والفكر والارادة . فإن هذه الأشياء كانت دائماً زوائد على مجرد إعادة توليف المادة في صور ما . وهي فوق ذلك أشياء ، بقدر ما لأرضنا هذه من صفة الحدوث الزماني جديدة — نعم جديدة وانها لباعثة على أشد العجب .

لم يكن للانتخاب الطبيعي من أثر في ابراز هذا المتجه الجديد . كما انه لم يكن له من يد في أن يحدث حدثاً يسير به قدماً عندما بدأت الحياة بالوجود ، ولكن عندما أصبحت تلبس عضويات من طراز ملام . فعندما وُجدت ، بطريقة غير محدوسة (١) مُركّبات عضوية معقدة (ب) ليس لها صفة الحياة لا غير (ج) بل تكاثرت (د) وفي تكاثرها استحدثت أعقاباً لها بها ، على اطلاق القول . مشابهة ، ولو أن هذه المشابهة (هـ) صحبتها تغيرات (و) متوازنة : قبل أن تقع هذه الأحداث الجسام وتأتلف ، لم يكن في استطاع الانتخاب الطبيعي أن يعمل وأن يبرز تلك المستحدثات الاحيائية ، التي يحاول البحث العلمي اليوم ، بجهد بالغ ، أن يفصح عن أسرارها المعقدة .

من هنا يتضح أن تدخل الانتخاب الطبيعي في السَّوْق العلمي للأشياء تدخلا من شأنه أن يزود العقل الانساني ، حتى بما يشاكه أصلاً عقلياً ، قد بدأ مؤخراً في تاريخ

الكون . ولكن لدي شيء آخر أقوله . فان تدخله لا يبدأ بتحقيق هذا الغرض مؤخراً جداً لا غير ، بل انه ينتهي مبكراً جداً أيضاً . فان أفعاله التأثيرية تموت وتفتى سريعاً ، حتى لمعجز عن الافصاح عما ينبغي الافصاح عنه ، وأعني بذلك الإفصاح : عن مثاليات الحب والحسن (الجمال) والمعرفة .

بالنسبة لي تظهر هذه المسألة كأنها ثانوية القيمة ، فان تلك الاشياء الباهرة العظيمة ، اذا كانت في غائيتها ، هي من عمل اللاعقل ، فانه لا يعنيني إلا قليلاً اذا كان صدورهما المباشر راجعاً إلى اللاعقل ملابساً صورة من الانتخاب الطبيعي محوراً فيما يشبه القصد ، أو أسفرت في صورة مصادفة مكفوفة . ان النتيجة بقدر ما يعنيني واحدة ، ولكن هنالك من يقبلون قبلة أخرى . هم يطلبون تفسيراً علمياً . أعطهم هذا ، وهم بعد لا يُعْشَوْنَ بما يكون واقعاً بين العلة والنتيجة من التفكك وعدم الالتئام . ولذا تراهم قانعين راضين ، ما أثبت لهم ان خصائص أية محصلة من المحصلات التطورية ، تتضمن قيمة بقائية ، وبمقتضى نظرهم هذه تمسحي كل القيم الأخرى ، ولا تساوي عندهم دانقاً ولا مسحتوتاً . يكتفون بأن أسمي وأندر ما في الجمال والأخلاق والفكر ، أشياء لا تفعل للانسان ، إلا ما تفعل الوسائل الحسية لأقل كائن طفيلى حقير — بمعنى انها تساعد على الاغتذاء والتكاثر .

إن هؤلاء المفكرين لا يعوزهم الافراط في الطمع . ومع هذا فاني أشك في أن سرامهم ، على توابعها ، قد تحققت في مثل هذه الدنيا التي نعيش فيها . انهم يخطئون اذ يفرضون ان هذه القيم العليا ذات أهمية في التنافس على البقاء . فاقديسون والفلاسفة والفنانون ، لم ينجحوا اطلاقاً ، على قدر عالى ، في أن ينشئوا أسراً كبيرة بأنفسهم . وكذلك هم لم يساعدوا الجمعيات التي فتنت بهم وأخرجتهم الحين بعد الحين ، من أن يبدؤوا كثرة ونسلاً ، غيرهم من الجمعيات في بقاع آخر من الأرض . وبمقتضى قياس الطبيعة للمنفعة ، هم لا فائدة منهم . انهم ليسوا من حيث ذلك ، أكثر من نماءات خبيثة في مجمل المحصلة التطورية ، ولا يكونون جزءاً من نسيجها الجوهرى . انهم ، بناءً على فرضية المادية الطبيعية ، حدث اتفاقاً ، أنتجه حدث مثله .

ليس في الناحية الروحانية للتطور من شيء هو أعجب من هذا . وربما لا يكون عجيبيًا
 ان هذه الحركة الاستدرجية التي مضت فيها هذه النشوءات، والتي أدت الى النجاح الأحيائي،
 قد تذهب بها إلى آفاق تَمَّحِّي فيها كل كفاياتها البقائية أو جُلَّها . ولكن العجب الحقيقي
 انه في هذه الآفاق ، او في بعضها على الأقل ، قد تحوز قيمًا أجود وأرفع ، بحيث تعجز
 المادية الطبيعية عن الافصاح عنها أو تفسر وجودها ببيان . فالديانات البدائية ، بما فيها
 من الخرافات والأوهام الفجة ، والحماقات والإفراطات ، قد يكون لها قيمة ، تلبس تلك
 الصورة التي يقرها الانتخاب الطبيعي . ربما تكون قد ساعدت الانسان ، بصور متفرقة ،
 مساعدة مباشرة في مدارج حضارته الأولى ، ان يحتفظ بعدده ، أو أن يكثر ويزداد .
 ولا شك مطلقًا ان هذا يصدق أيضًا على الخُلُقِيَّات البدائية ، وعلى العلم البدائي . وربما
 صدق أيضًا على الفن البدائي . لهذا نقول إن الاجياليين^(١) الذين يعالجون علم الأجيال^(٢)
 على انه فرع من علم المواليد^(٣) ، محقون في اعتبار أن هذه الأشياء قد تعود بعض الشيء الى
 التناحر على البقاء . ولكن التناحر على البقاء ليس له تأثير مباشر على مدارجها النشئية
 العليا . فآية قيمة بقائية مثلاً لحب الله كما نباشره في الممارسات الدينية العليا ؟ وآية فائدة
 تلك التي جناها انسان ما قبل التاريخ من ان كفاياته العقلية وتصوره ، تلك التي نلح ان
 بداياتها الدنيئة قد رُبِّبَت بديًا في أسلافه بعوامل الحرب والجوع والمرض ، قد تتحوَّل
 فتنشأ منها تلك الكفايات ، التي هي بعد مرور آلاف من السنين ، سوف تيسر لأخلافه سبيل
 العمل والنجح ، في تتبع خطا معرفة هي الى التجريد الصرف ، والبعد عن الكسب المباشر ،
 وهي لأول وهلة معدومة القيمة ماديًا ؟ وأي تأثير شامل ، من حيث الاحتفاظ بالنوع ،
 حدث بنشوء صفة الحب الخيالي الخالص من دنيئات الشهوة الحيوانية ؟ واذا سلمنا بأن
 الانتخاب الطبيعي قد يكون له أثر في تنشئة العطف العائلي والطاعة القبليَّة ، فلاي شيء
 يزدهر هذه الصفات فتصير رحمة بريئة قوية تشمل في دوائرها كل النوع الانساني ، وهي
 فوق ذلك ، تخص من يدعون غير الصالحين ، لا الأصلحين ، بعطف أكبر وحنان أعظم ؟

الشمس

قال شوقي أمير الشعراء :

اتخذ سكناك في طلق الهواء بين شمس ونبات وهواء
ولو لم يقل رحمه الله في الحب :

الحياة الحب والحب الحياة
لصاع بيته هذا الخالد في الشمس حيث كان ينبغي أن يقول :
الحياة الشمس والشمس الحياة

لأن « غانية السماء » لو أشرفت يوماً ، ثم غابت ، ولم تمد لتطلع على الدنيا الى الابد ،
لدبل النبات ، وفي الحرث ، ومات الانسان ، ونفق الحيوان ، وأمسى الكون ، كما صنعه
الله تعالى ، في اليوم الاول للخلق : أرضاً خربة خالية ، ذات غمر تملوه الظلمات
والكائنات الحية ، مملكتها : النباتية والحيوانية ، تعيش تحت الشمس من وقت مشرقها
الى ساعة المغيب ، الا الانسان وحده ، فقد حالت المدنية بينه وبين الشمس ، فأسكنته بيوتاً
ظل يعيش فيها عاملاً أو لاهياً ، كما أنها فرضت عليه ملابس ثقيلة ، غطى بها سائر جسده ،
فكانت السد المنيع بينه وبين شعاع الحياة

والجسم يولد فيتامين « D » من نفسه اذا تعرض الجلد لاشعة الشمس ، وذلك بتفاعل
الاشعة فوق البنفسجية في المادة الدهنية الكائنة تحت الجلد المسماة « Ergosterol »
وينبغي ان تعلم ان النقص الجزئي لفيتامين « D » من جسمك يسبب لك الامساك ،
وفقد النشاط ، والتعب السريع ، وعدم انتفاعك بالاغذية التي يدخل في تركيبها عنصر
الكالسيوم والفسفور

وأما نقصه الكلي فيسبب الكساح ، ولين العظام ، وتضخم المفاصل ، واحوجاج العمود
الفقري ، وتأخر النمو

فالشمس ضرورة لحياتك ، وعليك باتباع ما يأتي صيانة لصحتك :

- ١ — اياك أن تسكن منزلاً لا تدخله الشمس
- ٢ — استقبل الشمس في بيتك في جميع الاوقات ، وافتح لها النوافذ على الدوام
- ٣ — في حجرة مشمسة من منزلك ، اخلع عنك ملابسك ، واربد لباس السباحة ،
وعرض جسدك لاشعة الشمس لمدة ربع ساعة كل يوم مهما كانت مشاغلك
- ٤ — ليكن حمامك الشمسي كل يوم في الصباح الباكر أو في وقت المغيب أي عندما تكون
أشعة الشمس مائلة حيث تكثر الاشعة فوق البنفسجية
- ٥ — ينبغي تعريض جسم الاطفال لاشعة الشمس صباح كل يوم لمدة قصيرة حتى لا يصابون
بالكساح أو لين العظام
- ٦ — في أيام الصيف لا تسرف في حمام الشمس على شاطئ البحر ، وادهن جلدك بزيت
حتى لا تحرقه الاشعة

واعلم ان الشمس هي سر الاسنان السليمة ، والعظام القوية ، والصحة الكاملة ، فاحرص
صيفاً وشتاءً على حمام الشمس كل يوم . فتؤمن ان الشمس هي الحياة
فهني عطا الله

تقدم العلاج^(١)



في أوائل القرن الحالي كان مدرسو الطب لا يعلقون أهمية كبيرة لعلاج مختلف الأمراض ولا يظهرون عظيم ثقة فيما كانوا يصفونه من أدوية ، بعكس ما كانوا يبذلون من عناية في التشخيص الاكلينيكي والاهتمام به . وكان تأثير ذلك على طلبة الطب إذ ذاك ، الاعتقاد بأن التشخيص الصحيح هو السبيل الوحيد للعلاج الناجع ، ولكن بخروجهم للحياة العملية صدموا بفقد ذلك ، فكثيراً ما شخصوا الأمراض تشخيصاً صحيحاً ولكنهم عجزوا عن علاجها ، ولم يكن أمامهم سوى مواجهة الأعراض لتخفيف ألم المريض بالحد منها تاركين المرض نفسه بدون علاج ، وللطبيعة العمل على الشفاء . وبهذا الأمل ينتظرون تقدم حالة المريض عاجزين عن مد يد المساعدة له .

في ذلك الوقت لم يكن هناك سوى أدوية محدودة العدد والأثر ، ولم يكن العلاج مجتنباً على أساس ثابت ، إذ كان علم الطب التجريبي يخطو خطواته الأولى ، وكانت أسباب المرض لا تزال محل البحث والاستقصاء ، فكان مواجهة الأعراض همهم الأساسي فاستعانوا بالمورفين والكوكايين وأملاح البروميد Bromides للحد منها ، كما استعملت السليسلات لروماتزم الحاد ، وبجانها استعملت أدوية أخرى ثبت فيما بعد تأثيرها الفعلي على مسببات بعض الأمراض ، وإن كانت اذ ذاك تستعمل بحكم العادة كخلفات للقرون الماضية منها السنكونا والكيئين ، لمرض الملاريا ، وعرق الذهب لمرض الدوسنتاريا الأميبية ، والزئبق وأملاح الايوديد Iodides للزهري ، وذلك قبل أن يكشف عن سبب كل من هذه الأمراض بسنوات .

❖ اكتشاف أدوية من نوع جديد : الأدوية الحيوية ❖ قد كان نتيجة البحث عن أسباب الأمراض وجود طائفة جديدة من الأدوية تمتاز عن سابقتها بأنها مماثلة للجسم نفسه ومن طبيعته لا مواد غريبة عنه ، فكانت مكملة لنقص وظائفه ومعوضة لما يعتري أعضائه من فتور في تأدية عملها . من ذلك استعمال الغدة الدرقية في علاج الأمراض الناتجة

عن قصورها، والانسولين لعلاج البول السكري، وعلاج الدفتريا بالمصل المضاد لها. هذا النوع من العلاج يؤثر في سبب المرض نفسه، فيمكن بذلك أن يصنفه الطبيب وكله ثقة في النتيجة، لا كما كان الحال سابقاً ينتظر مساعدة الطبيعة له في شفاء العلة.

بالمضي في هذا البحث أمكن اكتشاف الهرمونات والفيتامينات والأمصال المضادة للأمراض. وساعد على ذلك تقدم علم الكيمياء الحيوية وغيرها من العلوم المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالطب. فأحدث ذلك انقلاباً شاملاً في العلاج وأصبح في وسع الطبيب أن يعالج أمراضاً لم يكن لها علاج معروف بنجاح تام، فعولج فقر الدم الخبيث (Pernicious Anæmia) بخلاصة الكبد والكساح بالفيتامين (د) وشجع ذلك على المضي في البحث عن مسببات الأمراض واختبار تأثير المركبات الكيميائية عليها. وكان العالم الألماني الكبير إيرليخ الفاتح لهذا الباب فابتدأ بدراسة مفعول الصبغات على جرثومة الملاريا وخاصة تأثير أزرق الميثيلين (Methylene Blue) عليها. ومع أنه أخفق في إيجاد بديل للكينين منها، فإنه كان في عمله هذا المؤسس الأول للكيمياء العلاجية. وبما يستحق الذكر أنه بعد وفاته بسنوات تمكن غيره من استحضار مركبات مماثلة لأزرق الميثيلين ذات تأثير فعال على جراثيم الملاريا

❖ **الصبغات ومشتقاتها** ❖ على هدى تأثير الصبغات استمر إيرليخ في العمل وساعده على ذلك اكتشاف جرثومة مرض النوم. وهذه الجرثومة تمتاز بإمكان ملاحظة حركتها خلال قوة مكبرة متوسطة تحت المجهر، فأمكنه دراسة حياة هذا الحيوان الأولى، وتأثير مختلف المواد عليه. وبمساعدة تلاميذه «شيكا» الياباني لاحظ تأثيره بصبغة التريبان الأحمر (Trypan Red) فكان ذلك نقطة ابتداء لعدة اختبارات انتهت بعد سنوات من وفاة إيرليخ، ولكن بواسطة أحد تلاميذه النابهين «هرمان رهل» لاكتشاف مركب معقد التكوين عرف باسم «الچيرمانين»، كان الشافي من مرض النوم

وقد أثبت إيرليخ بأن هذه الصبغات لا تمنع هذه الحيوانات الأولية من الحركة، ولكنها تمنعها من التوالد، فتأثير العلاج عليها وقف نموها ويكون من اليسير على قوى الجسم الطبيعية التغلب على الكميات المحدودة منه الكامنة فيه.

❖ **مركبات الزرنيخ** ❖ في عام ١٩٠٥ اكتشف توماس وآخر في ليفربول مركب زرنيخي عضوي عرف باسم الآتوكسيل ذو تأثير فعال على جرثومة مرض النوم. وقد تمكن إيرليخ فيما بعد من معرفة تركيبه الكيميائي وأثبت أن اختزال هذا المركب الحامضي الذرية لآخر ثلاثي الذرية أعظم أثراً، وبمداومة العمل في هذه المركبات اهتدى وتلميذه «هاتا» الياباني

لاكتشاف السلفرسان قبيل الحرب العالمية الأولى محدثاً انقلاباً في علاج مرض الزهري والأمراض المماثلة المسببة عن الحزونيّات .

﴿ مستحضرات السلفانيلاميد ﴾ باكتشاف المركبات السابقة أمكن علاج الأمراض بالتأثير المباشر على مسبباتها أو بوقف نموها . وكان امتداء جانكسو لمادة السانتالين أول اكتشاف لمركبات كيميائية تؤثر على الميكروبات بمنع الغذاء عنها Food Blockade . وعلى هذا الأساس اكتشفت مركبات السلفا .

ففي سنة ١٩٣٢ اكتشف دوماج الألماني مادة البروتوزيل ولاحظ تأثيرها الفعال في علاج الأمراض المسببة عن البكتيريا القيقحية عند حقن الفيران بها . وكان هذا الاكتشاف أول حدث من نوعه لعلاج الأمراض المسببة عن البكتيريا كيمائياً ، بعد اكتشاف العلاج الكيمياوي للأمراض المسببة عن الحيوانات الأولية بما يقرب من ربع قرن . وقد اختبرت هذه المادة بمعرفة علماء إنجلترا وفرنسا واتضح لهم أن التأثير العلاجي لها ليس للمادة كلها ، بل لاحتوائها على السلفاناميد فيها ، ومن هذا الوقت ابتدأت المعامل في مختلف البلاد من تحضير مختلف مستحضراته ناسبة لسكل منها تأثيرها في مختلف الأمراض وكانت الحرب الحالية حائلاً دون مواصلة البحث فيها .

﴿ العلاج بالمواد الفطرية ﴾ في عام ١٩٢٦ لاحظ فاهنج تأثير نوع من الفطريات اسمه (Penicillium Notatum) على البكتيريا القيقحية في مزارعها ، وتمكن فلوري من عزل المادة الفعالة المفترزة منها والمعروفة الآن باسم البنسلين . وقد لا يمر طويلاً حتى يركب هذا الدواء صناعياً أو الجزء الفعال فيه ، وتأثير هذه المادة وقف توالد الميكروب لإماتته .

كل هذه الاكتشافات تمت في مدة وجيزة فإذا علمنا أنه في نهاية الحرب الماضية لم يكن معروفاً لدينا من الهرمونات سوى الأدرينالين ، وكانت الفيتامينات لا تزال مجهولة منا . وإن معظم هذه الاكتشافات تمت في مدة الهدنة بين الحربين أدركنا التقدم العظيم في العلاج في السنين الأخيرة . ولا يزال العلماء في مختلف أنحاء العالم دائبين على اكتشاف العلاج لمختلف الأمراض التي لا تزال عاجزين عن علاجها حتى ليدهشني ما يمكن أن يقوله محاضر آخر في هذا الموضوع بعد عشرين عاماً .

دكتور فريدريش فايب

المجموعة الصحية بالضبعة

مدينة المستقبل

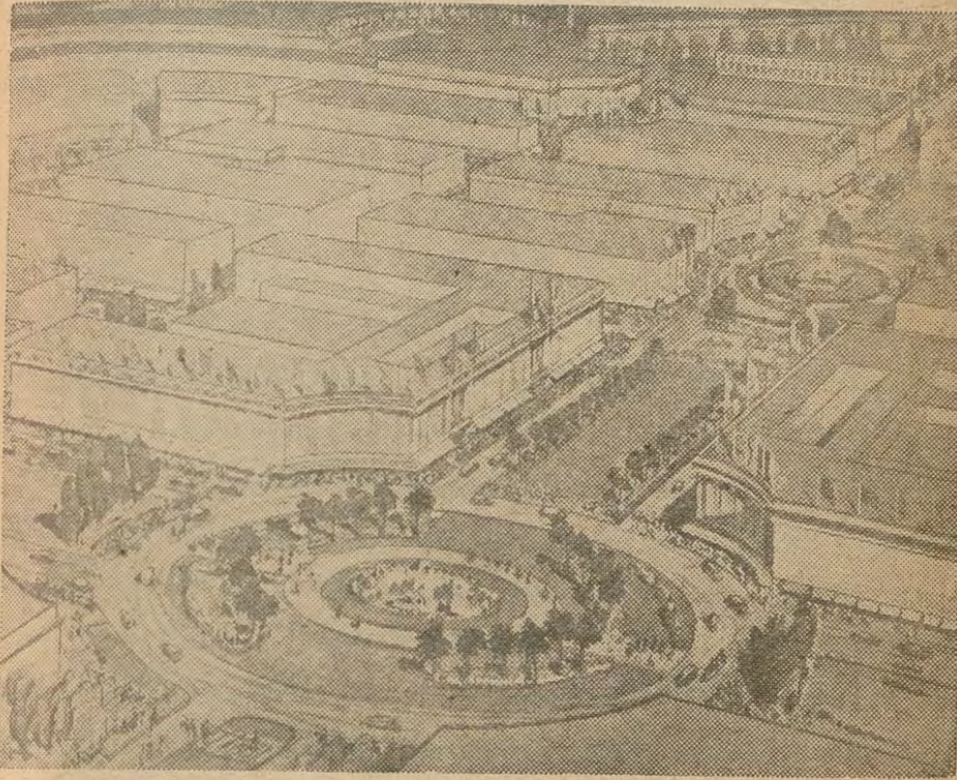
« ان عدد البيوت الصغيرة التي هدمتها الحرب من مساكن العمال أمر مؤلم للنفس . سوف نشيدها مرة أخرى ، وسنصرف نحوها من العناية ما لم تلفه من قبل . والغالب ان لندن وليفربول ومانشستر وبرمنجهام هي المدن التي قاست من ويلات الحرب أكثر من غيرها . ولكنها سوف تقوم ثانية من خلال أطلالها ، أكثر جمالا وأوفر نصيباً من الضرورات الصحية » .
ونستون تشرشل : ١٩٤٠

الانسان بطبعه الحضاري ونزعه الاجتماعية من أعداء الخراب . فقد يقع زلزال في أميركا أو في اليابان أو الأناضول ، فيقوض مدناً أو أجزاء من مدن ويسوي بها الثرى ، فلا تكاد تهبط ويخيم من فوقها التراب ، حتى يسبق الانسان الى التنقيب في تلك الآثار المدمرة وفي عقله فكرة التجديد في الطراز الذي يشيد على مقتضاه مدينة أجمل نسقاً وأكثر تلاؤماً مع مطلوبات الصحة والسعادة .

على هذا كان الحال عندما هدم الهجوم الجوي الألماني بقنابله الضخمة أجزاء هامة من لندن وكوفنتري وبريستول وغيرها من المدن العظمى في الجزر البريطانية ، فهض الإخصائيون والاطلال ما زال مسواة بالتراب ، والثرى يتطاير من حولها ، يفتنون في الفحص عن أمثل الطرق في إعادة تشييد هذه المدن ، وإعادة تشييدها على أمثل نمط تتطلبه الحياة المدنية من مختلف وجهاتها وبخاصة وجهتها الصناعية .

صرفت الحكومة البريطانية في سبيل ذلك جهداً عظيماً ، فخصصت للتعمير وزيراً أخذ يدرس أمثل طريق الى إعادة بناء المدن التي خربتها قنابل الألمان . ولم تبخل بالبذل ولا بالرجال فأذلت المال في سبيل التعمير ، وعهدت به الى أفذاذ المهندسين أمثال لورد « ريث » ، فاستعان باخصائيين انتخبهم من مختلف المدن المهتمة ، لأنهم أعرف بما تتطلب مدنها من أوجه التجديد . ولم يكن من تلك المدن المهتمة من مدينة أحوج الى التجديد من مدينة لندن ، فندب لها المهندس المعروف « فورشو » Forshaw عضو المعهد الملكي للمهندسين والاستاذ « باتريك ابركرومي » ، ليصمما عاصمة جديدة للامبراطورية البريطانية . ولقد بدت هذه المهمة شاقة مضنية أول الأمر . هذا اذا علمنا ان لندن بها تسع ملايين نسمة وفي ما حولها أربع ملايين ، وليست لندن مدينة واحدة ، بل هي عدة مدن مندمجة ، وانها

فما بين حرب ١٩١٤ وحرب ١٩٣٩ قد ضوغت مساحتها وقطنتها بضعة ملايين أزيد مما كان بها من قبل .



(الصورة رقم ١)

التمعير في إنجلترا عقيب الحرب ، وفي غيرها من البلاد الأوروبية ، مشكلة من المشكلات الكبيرة . ولقد كان لنشوء الصناعات وازديادها في القرن التاسع وتركزها بجوار المدن العظمى ، أثراً جعل هذه المدن خليطاً غير متناسق من المعامل وبيوت السكن والمدارس والمستشفيات الى غير ذلك من المرافق ، فلم يراع توزيعها حاجات الصحة وحاجات المجتمع . فعكف الاختصاصيون على تصميم بناء المدن التي حطمتها الحرب تصميماً تراعى فيه هذه الحاجات . والمبدأ الاساسي الذي اتفقوا به هو عدم تركيز بيوت الصناعة والمعامل وعمائر السكن ومؤسسات العلم وغيرها في أمكنة معينة . فالعمل في المدن الجديدة سوف لا يحتاجون الى السفر كل يوم مسافات شاسعة للوصول الى مقر عملهم ، وكذلك غيرهم من عمال المحال التجارية والموظفين والتلاميذ والطلاب . وقد عمدوا في تحقيق هذا المبدأ الى الاكثار من الطرق ووسائل النقل وسكك الحديد ، والمتنزهات ، لتكون كالرئات لجسم المدينة ، والى جانب كل مدينة عدد من المدينت (المدن الصغيرة) مصممة بحيث تتسع لمن يزيد عن حاجة المدينة الاصلية اتقاء لتكاثفهم في بقاع محدودة غير قابلة للتوسع . وهذه الصورة لجزء من مدينة بليموث صممها المهندس الانجليزي الاستاذ سير باتريك أبركرومبي ومستر باتون واطسون المهندس المدني

لم تكن هذه الزيادة وليدة تصميم خاص يلائم الحاجات العصرية ، بل انها زيادة جاءت خبطة عشواء ، فكان لها نقائص أهمها الانتقال الاضطرابي مسافات شاسعات ليصل ذوو

الأعمال الى أعمالهم ، وليعودوا منها الى بيوتهم ، فكان في ذلك اسراف في الجهد والوقت والمال . حتى لقد دل الاحصاء على أن واحداً في كل عشرة من سكان لندن كان يكسب رزقه من العمل في نقل أهل لندن ذهاباً الى أعمالهم وعودة منها الى دورهم .



(الصورة رقم ٢)

في هذه الصورة تصميم لمدينة حديثة وضعه مستر توماس شارب وهذا بيانه :

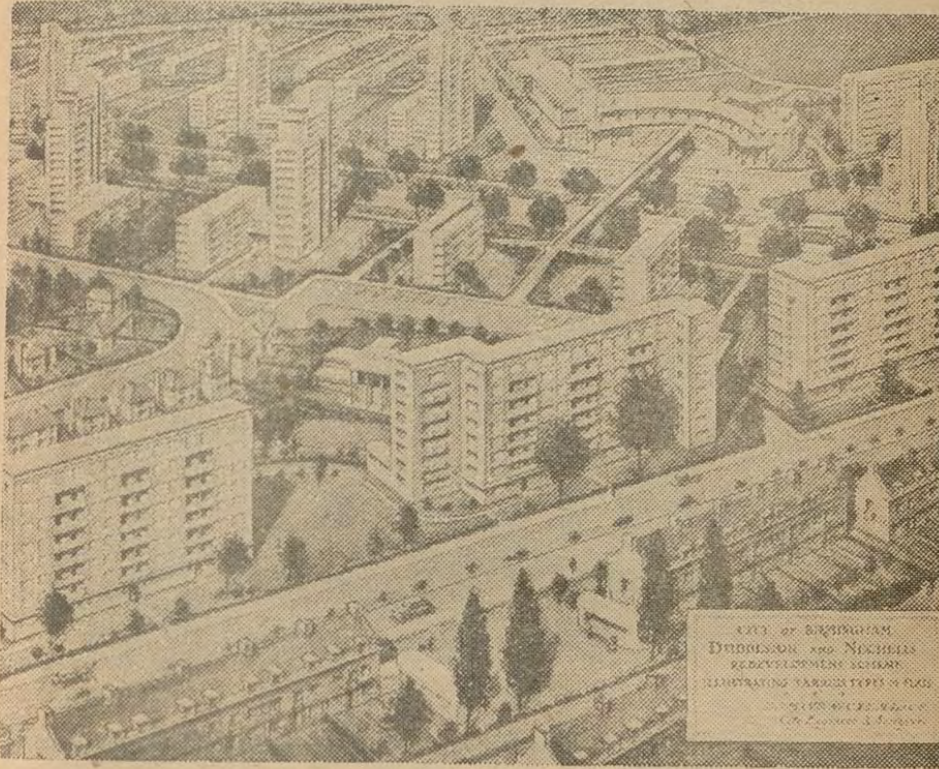
- | | |
|-----------------------------|---------------------------|
| (١) زناز أخضر | (٥) مركز المدينة أو سرتها |
| (٢) حوض للسباحة | (٦) منطقة صناعية |
| (٣) مدرسة | (٧) محطة |
| (٤) مجتمع أهل المدينة ومسرح | (٨) منطقة التوسع الصناعي |

أما المنطقة الصناعية وما يليها من فراغ للتوسع في الصناعات فسهلة الاتصال بالمدينة . وهنالك فراغ كاف في داخل المدينة وفيما حولها . وشبكة الطرق منظمة بحيث يسهل فيها التنقل مع الاقتصاد في الجهد والوقت

لوحظ مع هذا أن اتساع مدينة لندن قد جاب إليها أنواعاً جديدة من الصناعات لم يكن لها بها من عهد ، وزاد هذا الأمر الى الصعاب التي كان يعانيها سكان لندن ، كما أن نتائج اقتصادية خطيرة قد نشأت عن ذلك . ناهيك بموقف المدن من الناحية الحربية . فقد دلّ الاحصاء على أن أربعة من كل خمسة أشخاص في بريطانيا يعيشون في المدن . أي أن أربعة

أخماس الناس يعيشون في المدن والخمس في الريف . وهذا أمرٌ جعل الأهليين هدفًا هينًا لقنابل الطائرات .

وعلى ضوء هذه الحقائق عمد الخبراء الى القول بالحد من نماء المدن وبخاصة لندن وغيرها من عظام المدن مع عدم تركيز الأحياء الصناعية والمنازل والمعامل في أمكنة معينة ، وبدعوا سياستهم بترحيل ٦٠٠,٠٠٠ من السكان الى خارج لندن أي في خارج المنطقة

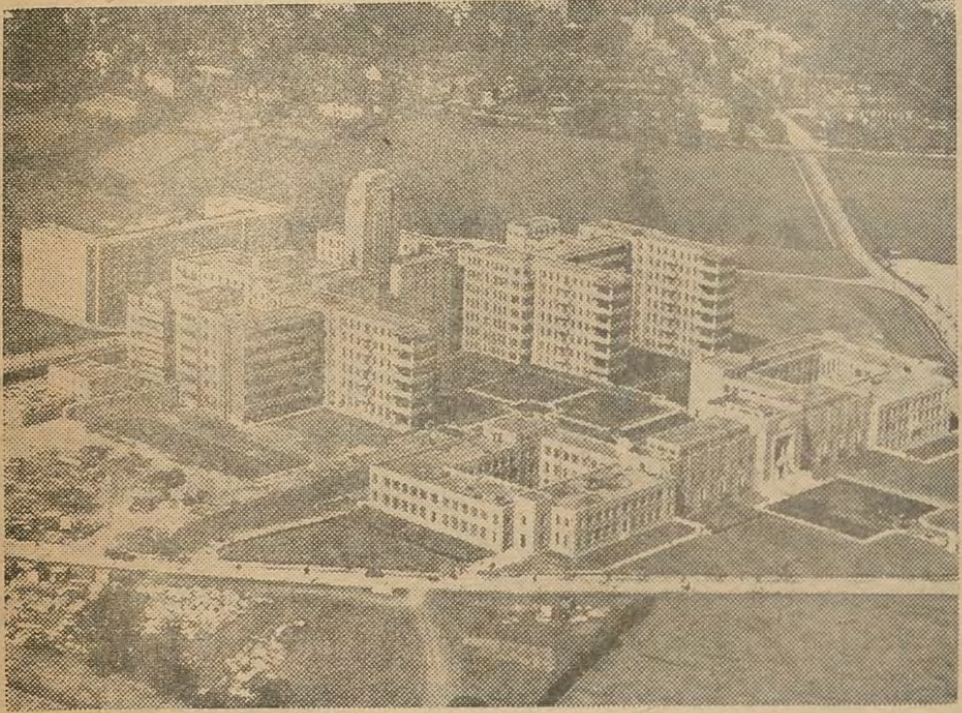


(الصورة رقم ٣)

تبين هذه الصورة أحياء في مدينة برمنجهام عند إعادة تمييزها . وفيها فضلا عن عمائر السكن تسع مطرحت (عمائر باذخة) كل منها مكون من خمسة عشر طابقاً أعدت جميعها بحيث تتسع كل شقة منها لشخص واحد

القديمة ليقسموا في مدائن صغيرة تنشأ من حول المدينة العظمى . وسوف لا تتسع هذه المدن الحديثة لأكثر من ٥٠,٠٠٠ الى ٦٠,٠٠٠ نسمة ولا تزيد . وبالجري على سياسة نقل هذا العدد من السكان لكل من المدائن التي تنشأ ، ومعهم العدد الكافي من المصانع والمعامل يمكن تفريغ أجزاء من لندن يعاد انشاؤها أخص المبادئ الأساسية التي تتطلبها الحياة الانسانية في العصر الحديث .

ونحن في مصر مقدمون ولا شبهة على عصر صناعي سوف ينشأ معه مشكلات اجتماعية واقتصادية . ذلك بأن صناعات مختلفة سوف تنشأ في المدن ومن حولها ، فإذا لم تتجه من



(الصورة رقم ٤)

منذ سنة ١٩١٨ ماشت حركة التعمير في انجلترا حركة التطور الاجتماعي . فنظر المهندسون نظرة جديدة في الطراز الذي ينبغي أن تكون عليه مدينة المستقبل ، بحيث تقوم بكل الضرورات المدنية على اختلاف وجودها . ولقد عرف عن الانجليز أنهم شعب يفضل بطبيعته التنوير بطريق التطور لا بطريق الثورة والانتقال . لذلك ترام وقد بدأوا عن فكرة الزخرفة في تصميم المدن ، وعمدوا الى مراعاة المنفعة والضرورة . ولكن التكاليف ضرورتها أيضاً . فروعى في إعادة ترميم المدن البادئات الإقليمية لاهل كل منطقة ، فانه من الواضح ان كل تلميد سار عليه الناس إنما هو محصل مجاريب صادقة . وتبين هذه الصورة مباني مستشفى الملكة اليزابت في مدينة برمنجهام الذي صممه المهندس انكستر ولودج ، ويتضمن مستشفيان لمرأة الطلبة وكلية الطب التابعة لجامعة برمنجهام . والمساحة المقامة عليها المباني ١٥٠ أكر أو حوالي ٦٠ هكتاراً .

الآن الى تنظيمها والعمل على اقامتها بحيث نخفف من وطأة مشكلاتها التي عانت منها مدن أوربا الأخرى ، وقمنا فيما يشبه المشكلات التي قامت هنالك ، وكانت سبباً في ضياع الكثير من الجهد والمال والزمن .

المخترعات الحربية

في الحياة المدنية

تشمل قائمة معجزات الحرب الحاضرة أشياء شتى لم يكن ليحلم بها امرؤ في زمن ما. وجميعها مستعود بمنافع جمة ، في كل طور من أطوار الحياة المدنية ، فتحدث انقلاباً في معيشة كل فرد على وجه التقريب ، من كساء وغذاء ، ومسكني وكامليات ، حتى الزهرة .

ومن هذه الأشياء ، الثقب الذي لا يؤثر فيه الماء ، إذ يمكن إبقاؤه فيها بضع ساعات ، دون تلف ، ثم يصلح بعدها للاستعمال . والمطهر الحربي الجديد ، وهو مادة مبيدة للجراثيم ، تستنتفع بها البيوت والمطاعم . وأسبوتها في ذلك ، الجيش القائم ، حيث تذاب بضع أوراق منها في وعاء يسع ٢٥ جالوناً من الماء فينتج من هذا المزيج محلول مطهر قوي ، لتطهير أدوات الطبخ وأواني الأغذية مما يغشاها من جراثيم الأمراض ووقاية لصحة رواد الأندية الحربية الذين يتناولون فيها الماء والشارب ، وهؤلاء يؤلفون سريات تبلغ كل منها مائتي جندي ، وذلك عند تعذر وجود الماء المغلي . وفي الجيوش الأمريكية تستعمل مادة جديدة غير سامة لآبادة الحشرات ، لا تؤذي الناس ، ولا تحدث التهاباً . وهذه ترش برشاشة يدوية ، بضغط غاز الفريون freon ويكفي رشها في موضع محصور أيّاً كان مدة أربع ثواني لقتل كل ما يحويه من الحشرات . فالصابون الحربي الصالح لكل الأغراض والأجواء حاراً كان الماء أو بارداً أو أجلاً أو فرائاً ، فيصلح لغسل الأيدي والوجوه والاستحمام والحلاقة وغسل الملابس وأجزاء الأجهزة . ثم المادة الشحمية لدهن الجلد وهي تركيب فائق يلامس الأجواء الباردة فتدهن بها الأحذية والأشياء الجلدية فتلين ، ولا تتشقق ولا تتخللها المياه ، أيّاً كانت درجة الحرارة من الهبوط ، وحالة الجو من الثقب .

وكذلك الشمع الواقي النافع ، الذي اخترع حديثاً ، وهو مؤلف من موم العسل ، مخلوطاً بنشارة الخشب ، وقد سمي بهذا الاسم لأنه يغني مستعمله عن موقد صغير أو نار ضئيلة ، فيستغنى به الجنود عن إشعال نيران كبيرة ، قد يكون إيقادها خطراً عليهم أو متعذراً

وقد أحدثت بعض تحسينات كبيرة في ملابس القوات المسلحة ، ينتظر تطبيقها في الأدوات والمنسوجات ، عندما تضع الحرب الراهنة أوزارها ، إذ اخترع نسيج أطلق عليه اسم (الساتين الحربي الخماسي الوافي) وهو خماسي النسيج ، ويعد أمتن المنسوجات التي عرفت حتى اليوم . ومن هذه المادة سوف تتخذ عقب الحرب ، ملابس للصناع وللأحداث ، كما تصلح للاستعمال في الألعاب ، إذ تروقههم جميعاً .

وما يقال في استحسان هذا النسيج ، يقال مثله في النعال المزودة في أحذية الجنود إذ ثبت أنها تعيش زمناً يعدل أربعة أمثال مكث النعال العادية . ولا ننسى في هذا المقال ربط الأحذية أي شريطها المتينة التي تصنع من مادة النيون . والازرار التي تصنع من العجائن الكيميائية^(١) ثم القفايز المفردة ، التي إذا فقدت فردة منها ، أمكنك ابتياع فردة أخرى تلائم أختها الباقية . والتحسينات التي قامت بها القوات المسلحة في الملابس ، الملائمة للجو البارد ، سيكون لها نتائج بعيدة المدى في الثياب الشتوية . فقد تبين مثلاً أن عدة طبقات خفيفة من القطن والصوف ، تدفئ لابسها دفئاً يفوق ما تحدثه القراء . ويقول صناعها إنهم يدرسون مسألة صنع معاطف للرجال والنساء على السواء من هذه المادة ، لأن المادة والنسيج الذين يصنع منهما المعطف الحربي والثوب الوافي من تقلبات الرياح أفضل من أي نسيج مألوف لمثل هذه الغاية .

ولم تقتصر معاونة الحرب الحالية على إنتاج أغذية جديدة غسب، مثل الحبوب الجاهزة المطبوخة مع اللبن الحليب والسكر ، وهي التي انما تحتاج الى مزجها بالماء الساخن ، اتعد للاكل ، وكذلك الزبد الذي لا يسخن ولا يذوب . بل ان الحرب قد عجلت نجاح طريقة تجفيف هذه الأقوات ووسعت نطاق تبريدها تبريداً عاجلاً وتكثيفها أيضاً . ولم يكن مستطاعاً قبل نشوبها ، نجاح تجفيف الأغذية واللحوم معاً . فأصبحت هذه المأكولات شائعة الاستعمال في أماكن شتى . ومن البديهي أن تحسينات كثيرة واسعة النطاق ستحدث في وسائل النقل والانتقال جميعها ، على اختلاف أنواعها ، بصفة كون هذه التحسينات نتائج مباشرة للتقدم الذي ثبت في خلال الحرب الراهنة . ومن هذا القبيل أن شركات النقل الجوي أوصت بصنع أساطيل من الطائرات الجديدة ذات المحركات الأربعة ، خاصة بنقل الركاب والبضائع ، لتقطع مسافة تتفاوت في الدقة بين أربعة وخمسة أميال . ومهكون

(١) راجع مقالنا السابق — على العجائن الكيميائية وذلك في مقتطف يوليو سنة ١٩٤٥

حجرتها مريحة ملاءى بالهواء المضغوط ، ولا يزعج ركبها دوي المحركات .
 وصنعت مصانع بوينج الأمريكية ، التي تنتج قاذفات القنابل التي من طراز ٢٩ ب وهي
 المعروفة باسم القلاع الطائرة الجبارة ^(١) طائرة ضخمة من ذات الظهرين لنقل الركاب والبضائع
 عبر المحيطات ، وذلك على غرار الطائرات الحربية الهائلة المشار اليها . ومستخدمة حاليما
 تنتهي الحرب الحالية . على أن تستمد قوتها من أربعة محركات تعدل قوة كل منها ٣٥٠٠
 حصان ، فتستطيع السير بسرعة ٣٥٠ ميلاً مقالة مئة راكب عدا البضائع . وقد أطلق عليها
 اسم « ستراتو كروزر » أي الطوافة الطخورية السريعة ، التي ترقى الى أعلى طبقات الجو .

أما تأثير المخترعات الحربية في السفر البحري ، فإن بعض الخبراء يتوقع انتشار السيارات
 البرمائية أي التي تصلح لاسير في البر والبحر على السواء لخدمة المدنيين ، على نمط السيارات
 المستعملة منها حالياً في جيوش الدول المتحالفة .
 وكان للحرب تأثير محدود في السفانة ، ومن الأمثلة على ذلك أن إحدى الشركات
 الأمريكية قد أتمت وضع الرسوم اللازمة لصنع عابرة أنهار فاخرة للنزهة أطلقت عليها اسم
 شنانوجا . وتمتاز هذه الباخرة النهرية بطولها البالغ ٢٥٠ قدماً ، وبشكلها المسير للتيار
 والريح ، وبسعتها السكافية لـ ٣٠٠ راكب ، ثم باحتوائها على الكماليات . ومستسير للنزه
 في نهر تنيسي عند ما تضع الحرب أوزارها . وستكون مجهزة بتليفون يتيح لركابها بحادثة
 من يشافون من سكان المدن والأماكن الواقعة على شاطئ النهر . وهذا الى جانب الوسائل
 الأخر المعدة لراحة ركبها ، مما لا تتوافر إلا في عابرات المحيطات من البواخر الكبرى .
 وسيكون صدرها محتويًا على تجويف يصلح لاستقبال الركاب وسياراتهم فيركبون السفينة
 وينزلون منها على صقالات تديرها الطاقة الكهربائية . وقد حذا أصحاب هذا المشروع حذو
 الأسطول الأمريكي في ترحيل السفن والدبابات ، بهذه الوسيلة . وسيكون مقر دليل المركب
 أي مرشده ، مصنوعاً كله من العجائن الكيميائية الشفافة ، على طراز مركز قائد الطائرة
 الحربية القاذفة للقنابل . وهذا من شأنه جعل رباب السفينة يتمكن من رؤية الأشباح على
 المدى الكلي لثلاثمائة وستين درجة . وهو أمرٌ يعتبر من العوامل الخطيرة الشأن في
 سلامة الباخرة .

(١) انظر وصف القلاع الطائرة بقلم كاتب هذا المقال — وذلك في جزءي مقتطف ابريل ومايو ١٩٤٥

ثم إن استعمال دوائر القوات المسلحة ، للمباني الفولاذية قد أفضى الى ادخال تحسينات جمة اليها ، فجعل مصنع كبير في مدينة ديترويت يعدُّ برنامجاً لرسوم تشبه الأكواخ الفولاذية التي يأوى اليها الجنود والبحارة ، ليدخلها المدنيون في مباني مساكنهم ومزارعهم . وذلك لأنها تسهله التركيب متينة ، لا تتأثر بالحرارة أو الرطوبة ، ومن ثمة يتوقع لها العارفون منافع كثيرة في شتى الأغراض . وحينئذ يتمتع المولعون بالرياضة البدنية ، بالنعيم الذي ينشدونه في حياتهم ، وخاصة في معداتهم على الأقل . هذا إذا عُنِيَ الصانع باتباع التحسينات والأجهزة الحديثة التي تستعملها دوائر الجيش والبحرية بصفة كونها أدوات إضافية . ومنها الخيام الخفيفة التي لا قبل للمعوز على مهاجتها ، ثم المواقد الصغيرة التي لا يريد ثقل كل منها على رطل انكازي واحد ، وهي التي يمكن استعمالها بعض ساعات ، بملئها بالنزين مرة واحدة . ثم استعمال أقراص الهلزون لتطهير مياه الأنهار والخمجان . ثم استعمال أكياس النوم الجديدة الطراز وعلب الكبريت العوامة . وكذلك الأكياس التي تستعمل فيها قوارير صغيرة مملوءة بمادة بروميد الميتيل لتطهير الملابس وأغطية الفرش في نصف ساعة .

ولا ننسى شُرط (جمع شُرط) الثياب التي تصنع من نسيج النيلون ولا الفرش التي تتخذ من شعره لأجل بوية الزيت . وهذه تمتاز بكون شعرها لا يبلى سريعاً . وقناني اللبن والصحون التي تتخذ من العجائن الكيميائية ، وهي قلما تكسر . ومن المرجح أنها سوف تصير من الأشياء المألوفة في السوق لأجل المدنيين . وحبال النيلون التي أسفرت تجربتها عن كونها أمتن من حبال القنب سبع مرات وتمتاز عنها بسهولة ربطها وحملها ومقاومتها للاهراء . أضف الى ما تقدم سرده ، المعازف البليانات التي هي أخف من سواها بنحو مائة وخمسين رطلاً . وقد اخترعت خاصة للعزف في المعسكرات . ثم الآلات الموسيقية المصنوعة من العجائن الكيميائية ، وهي أخف من غيرها وأرخص وكان أول ما اخترع منها البوق الحربي . أجل إن في بعض الأحيان تحدث صعوبات عنيفة إما كثيرة وإما قليلة في تكيف المنتجات الحربية تكيفاً يلائم المنافع المدنية .

عوضه بنري



جو جزيرة العرب^(١)

للاستاذ البحائة الدكتور رفيق التميمي العذر حينما يسمي وادي « الحمض » بوادي « الحمث » كما لمرحوم البستاني صاحب « دائرة المعارف » العذر حينما يسمي ضرمسى « البلدة المعروفة في نجد — « ذورممع » . إذ تيار « التعريب » الجارف ، والثقة بأقوال أولئك « المتعربين » الذين هم سند ذينك الجهبذين الفاضلين ، ورواج مؤلفاتهم ، مع قلة « المعاجم » العربية الصرفة الممحصاة ، — أمور مبررة .

ولي العذر ، حينما أعقب على قول الدكتور التميمي ، بكلمة قصيرة عن « مرابع » صباي ، و « مراتع » قومي ، سندي فيها المشاهدة ، وإن كنت مزجى البضاعة في الاطلاع على آراء « المستشرقين ، المتعربين » ، معدومها في علم « الجيولوجيا » .

١ — من أهم أودية « جزيرة العرب » وادٍ عظيم يسمى « العقيق » على كثرة « الالعقة » . له ذكر كثير في الشعر القديم ، وفي كتب التاريخ والأدب ، يمتد من قرب بلدة « الطائف » ويتجه محاذياً للسلسلة الجبلية « الحجاز » فاصلاً بينها وبين سهول « نجد » ماراً « بالمدينة المنورة » من الجهة الشرقية . حتى يصب في « البحر الأحمر » ، جنوب « بلدة الوجه » . ويختلف نبات ذلك الوادي باختلاف الأراضي التي يمر بها ، وبقرب مصبه يكثر فيه شجر الرمث والأشجار التي من فصيلته ، و « الرمث » شجر تحمض بأكله الابل ، إذا كثرت من رعي العشب وأشجار « العضاه » . ولذلك يسميه العرب — هو وكل أشجار تلك الفصيلة — « الحمض » . ويسمون جزء ذلك الوادي — لا كله — الذي يكثر فيه ذلك النبات « وادي الحمض » بالضاد المعجمة ، التي اختصت بها « لغة الضاد » . لا بالثاء كما ورد في مقال الأستاذ التميمي . وفي كتاب الدكتور

اسرائيل ولبنسون « اليهود في جزيرة العرب » رسم لذلك الوادي يدل على تحقيق ، وسعة اطلاع .

٢ — ومن الأودية العظيمة في « الجزيرة » وادي « الرمة » الذي تنحدر فروعه في الزمن الحاضر — وفي الأزمان السحيقة في القدم ، من الجبال والحرار (جمع حرّة) الواقعة شرقي « المدينة المنورة » لا شرقي « مكة » كما قال الدكتور التميمي ، وإذا صحّ قوله انه يتجه نحو الشرق — وذلك صحيح — فهو يصب في « الخليج الفارسي » ، وأثار مصبه — قبل أن تحجزه رمال الدهناء — باقية مشاهدة في هذا العهد ، ولا يصب في « بحر عمان » . ولولا أن الدكتور فرّق بين البحرين فأورد الاممين قاصداً بذلك التغاير ، لقلنا انه أراد بحر عمان الخليج الفارسي ، ثم ان « السومريين » — على رأي الدكتور — كانوا يسكنون في جهات ما بين النهرين ، فكيف مدينتاهم « أور » و « أريدو » بقرب بحر عمان ؟ ! .

مع أن قوله بعد ذلك : ان وادي الدواسر يلتحق بوادي « الرمة » بالقرب من شواطئ خليج البصرة ، مع قوله السابق الذي أشرنا اليه فيهما شيء من التناقض — ان لم يصح ان يقال إنه أراد بحراً واحداً سماه بعدة أسماء . . . ! .

٣ — وإذا صحّ أن مجرى وادي الدواسر « بحذف الياء » كان مجرى لنهر عظيم ، فمن البدهي أن الأثر الباقي في العصر الحاضر للوادي المسمى بهذا الاسم هو أثر مجرى ذلك النهر في الزمن الغابر — واذن فهو يصب في بحر « عمان » — بعد اختراقه سهل الربع الخالي قبل تكون رماله ، متجهاً الى الجنوب الشرقي ، لا الى الشمال ، اذ سلسلة جبال « طويق » والجبال الواقعة توسط نجد تحجز بينه وبين الاتجاه الى الشمال والاتصال بوادي الرمة .

ومن المسلم به أن علم طبقات الارض وتكوينها « الجيولوجيا » يقرر ان الانهار تكونت بعد الجبال ، من الوجهة العامة ، لا في الحالات الاستثنائية . كما انه من المسلم به أيضاً أن ذلك العلم تعتمد أصوله وتنبني نتائجه على المشاهدة ، والاستدلال بالظواهر والتغيرات الارضية الباقية . وحسي أن أقول ما علمت .

صهر بن محمد آل جاسر

الطائف

قاضي ينفذ سابقاً

الهمجي : ج الهمج — Barbarian

Etm., F. Barbarie Barbarie L. Barbarian — Barbariousness

المعنى العام : (١) أجنبي (٢) من تختلف لفته وعاداته عن لغة المتكلم أو الكاتب وعاداته ، وهذا هو المعنى المستفاد من الكلمة في استعمال العهد الجديد (الانجيل) ويسمى أعجمياً .

as : therefore if I know not the meaning of the voice, I shall be unto him that speaketh a barbarian, and that speaketh shall be a barbarian to me I. Cor. xiv. 11

« فان كنت لا أعرف قوة اللغة أكون عند المتكلم أعجمياً ، والمتكلم أعجمياً عندي »
(رسالة بولس الرسول الاولى الى أهل كورنثوس : إصحاح ١٤ آية ١١)

Quot., Stillé, Stud. Med. Hist. 50 : ... It is well known that many of the Roman Emprors were barbarians who had been successful soldiers in the Imperial Army.

في العصرين : اليوناني والروماني : كل من لا يمت بنسب الى الاغارقة ، ويشمل ذلك الرومان . والكلمة في اليونانية barbarikos ، ومن ثم أخذت معنى غير حسن بأن أصبحت تدل على النقائص والسفالات التي كان الاغارقة أو أعداؤهم متصفون بها ، أما في العصر الروماني فان كل من لم تظهله الامبراطورية الرومانية ، أو لم يصطبغ بحضارتها ، اعتبر همجياً ، وبخاصة شخصاً من أمم الشمال التي خربت الامبراطورية

في عصر النهضة : كل من ليس بإيطالي ، أو لم يمت الى الايطالية بسبب

في الصين : كل من ليس بصيني ، وبخاصة الاوربيين وأهل أمريكا ، فانهم يعرفون عندهم باسم همج الغرب : Western Borbarians ويعبرون عن ذلك بكلمة خاصة ، ولما كثر استعمال اللفظ حرم استعماله في المعاهدات المتعددة مع الدول ، كما منع أن يوصف به أحد من رعاياها



هل عرف العرب أميركتة ؟ !

نشرت مجلة « المقتطف » في عددها الصادر في شهر فبراير الماضي نص محاضرة للأب الكرملي عنوانها : « عرف العرب أميركا قبل أن يعرفها أبناء الغرب ». وتقوم نظريته على الأمور الآتية : (١) ان العرب كانوا يتقنون الملاحة وفن بناء السفن (٢) اتساع تجارتهم منذ القدم (٣) كلمتان من أصل عربي في اللغات الأجنبية وهما : Alligator لأنها تبدأ بأل ، فهي القاطور مشتقة من فعل قطر و Caïman ، أصلها قرمان من قرم الشيء بأسنانه لم يكن التنافس في يوم من الأيام أشد وأعنف مما هو عليه بين أمم الأرض قاطبة . وان هذا التنافس غير مقتصر على الشؤون المادية التي تتعلق بحياة الجماعات وكيانها فقط ، بل تجاوز حتى شمل النواحي المعنوية الصرفة . فباتت قضايا فكرية كثيرة موضع نزاع بين الأفراد تارة ، وبين الأمم تارة أخرى . ونحمد الله ، لأن المتنازعين على أمر من الأمور العقلية لا يحملون سلاحاً في كفاحهم غير القلم واللسان ، ولا يخوضون ميداناً غير الطرس . وأضحت كل أمة تتحفز للهوض ، تتمجد وتماجد بها من الأمم بالقسط من الروح أو العقل أو المادة الذي ساهمت به في بناء صرح المدنية ، لتفوز بأعظم نصيب ممكن من الشهرة والمكانة . وكل أمة تتمنى لو انها استأثرت بوضع كل لبنة من لبنات هذا الصرح حتى يهنا لها العيش . وبوحي هابط من هذه الفكرة ، يحاول الأب الكرملي أن ينزع الكليل المجد والشهرة عن رأس كولنبس ويضعه على رأس العرب ، بحجة انهم سبقوه الى معرفة البلاد الأمريكية .

وقبل المضي في الرد على زعم الكرملي ، أنبه على أمر مهم جداً وهو أنني لا أرمي الى المجادلة والمهاكة . وان كلمة شعبية ان جاز أن تطلق على كل من يلصق بالعرب تهمة هم بريئون منها ، فانها لا تطلق على من يرغب أن ينسب الى العرب شهرة لا تصمد في وجه النقد النزيه الجريء ، ولا يكون نصيبها في أنذية العلم الا الاستخفاف والسخرية . واني أعتقد أن مراعاة الضمير والحق يجب أن تتقدم على مراعاة العاطفة الثائرة والهوى ، وان القول المأثور « من ليس معنا فهو علينا » قول فاسد لا يؤيده الواقع ولا تبرهن على صحته التجارب . ويجب أن تقف هنا قليلا لنقول إن العرب الذين يتكلم عنهم السكاتب ويظن انهم

اكتشفوا البلاد الاميركية ، هم سكان شبه الجزيرة العربية . لأن البلاد التي ينطق أهلها الضاد في الوقت الحاضر بلدان مستعربة جمعها والعرب الأصلاء مصير سياسي واحد رداً من الزمن بعد الاسلام ، ولا يزال يجمعها حتى الآن مصير لغوي وديني واحد . وبعد هذا ابادر الى القول أن العرب لم يعرفوا أمريكا قبل أبناء الغرب . وترتكز حجتي على الأسباب الآتية .

ان العرب شعب غير بحار . ويعود السبب في ذلك الى طبيعة أراضيهم الصحراوية وما ولدت في نفوسهم من السلائق البدوية . وما زالت الصحراء منذ أقدم العصور . ولن تزال ، منافية لكل ثقافة عمرانية ولكل صناعة معقدة تتطلب تفكيراً يعلو على التفكير البدائي . ولما كان لكل بيئة مقومات معينة ، فان هذه الخصائص تؤثر في أعمال الانسان ، وتوجهه توجيهاً ملائماً لطبيعة الأرض الذي يعيش عليها بما تقدم له من وسائل للعمل أو تحرمة منها . فالأراضي الصحراوية لا تقدم للانسان الوسائل اللازمة لبناء السفن ، كالأخشاب مثلاً ، التي تؤخذ من الغابات . وأين أماكن الغابات في شبه الجزيرة العربية ؟ وأين المدن التي بناها العرب على شاطئ البحر ، قرب الخلجان الهادئة ، كي تلجأ اليها السفن . وما من شعب يلتفت الى البحر ويراه بدء امكانيات جديدة ، وينفض يده من السعي على سطح الأرض ، الا عندما يتحلى له أن العمل في البر لا يجديه نفعا . أما العرب الذين اشتهروا بالقناعة في الماء كل لقلة خيرات أرضهم ، وبالقليل من الثياب لدفع اقليمهم ، فكانوا ولا يزالون ، يتدبرون أسباب حياتهم بيسر ، وذلك بما تدره التجارة من الأرباح والحيوانات والشجر والحروب التي لا تنقطع وما تأتي به من الغنائم أحياناً . ويمكننا أن نستشف حياة العرب القدامى من خلال حياة العرب المعاصرين لأن التطورات التي تمر بالجماعات البشرية لا تؤثر فيهم تأثيراً يستأصل كل سلائقهم الموروثة ويخلقهم خلقاً جديداً . لأن أمواج الحضارة مها بلغت من الشدة ، تنكسر حدها قبل أن تغمر فيافي الصحراء . ولأن العرب في وقتنا الحاضر لا يزالون يعيشون فوق البقاع التي أهلت زمناً بأولئك ، ويمارسون نفس الأعمال التي كانوا يمارسونها ، ويتأثرون بطبيعة الاقليم على نحو ما كانوا يتأثرون . فنلاحظ اليوم ان العرب أبعد الناس عن شؤون الملاحة كما أن أكثرتهم الساحقة تقيم في الأماكن النائية عن شواطئ البحار ، لأن فيها منتدحاً لهم عن البحر . وينفر العربي من البحر نفوراً يكاد يكون غريزياً . وأعتقد أن السبب في ذلك يعود لندرة وجود مجاري المياه الغزيرة في قلب البلاد العربية . ولم يسرف شاعرهم في الاحساس بالخوف من البحر عند ما قال :

طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

ومما يروى بهذا الصدد أن معاوية لما فكر في بناء أسطول يناجز به أسطول الروم في

البحر المتوسط ، عهد بذلك الى سوريين من عكا وصور وطرابلس . ولست بحاجة الى القول أن هذا الاسطول كان سوريًا بأخشابه وفنه وملاحيه وبجارته .

وطبيعة العربي لا تلائم الملاحاة بل تنافضها ، لا لما يتوهمه في البحر من خطر محقق واتساع لا نهاية له ، وعمق ليس له قرار ، بل إن لطبيعة البلاد التي ولد وعاش عليها يدًا في ذلك . فمن المعلوم ان البلاد العربية اقليمها صحراوي ، جاف لشدة الحرارة الناشئة عن قلة المياه والأشجار التي تعمل على تلطيف الجو . أما الاقليم البحري فهو شديد الرطوبة لا يوافق مزاجه مطلقًا . ويذكر المؤرخون ان مناخ سوريا ، ولا سيما دمشق ، بما فيه من رطوبة ناشئة عن المياه الغزيرة ، كان يؤثر في أجسام العرب المعودة على الجفاف ، عند ما كانوا يؤمّون سوريا في العهد الأموي ، فيحدث فيها بشورًا ودماميل حتى أصبح عندهم من الأمثال التي تنقلها الألسن « دماميل الشام وطواعين الجزيرة » . وكان الجنود ، حتى أواسط العهد الأموي ، وقد مضى عليهم زمن ليس يبسیر في التكنات القائمة في المدن ، اذا ما أراد القائد مكافئتهم على عمل مستحسن ، سأله الاذن بالرجوع الى باديتهم . وان امرأة معاوية لم تكتم حنينها الى البادية على الرغم من حياتها الغارقة في الرخاء والهناء في بلاط العاهل الأموي في دمشق فأنشدت تلك الأبيات المشهورة : « وبيت تحفق الأرياح فيه ... » الى آخر القصيدة فاذا كانت أجسام العرب لم تقو على تحمل مناخ سوريا ، وهو جاف نسبيًا ، فكيف تستطيع أن تتحمل رطوبة البحار والريج الباردة التي تهب من ناحية القطب الشمالي ؟ وهل يطيق هؤلاء أن يقضوا أيامًا وشهورًا لا يرون خلالها إلا الماء والسماء ؟ وهل يعقل أن تظل سفن شراعية في حالة بدائية الصنعة ، تذهب بها الريح كل مذهب ، أن تظل صائرة في منطقة جولف ستريم الدافئة مسافة ثلاثة آلاف ميل أو تزيد ؟ ومن المشهور في دوائر العلم ان هذا التيار الدافئ ظل مجهولًا لدى البحارة حتى عام ١٥١٣ حيث استرعى انتباه بحار اسباني . وهناك مشكلة أخرى تواجهنا ولا نستطيع أن نميل عنها : في أي الموانئ كانت ترسو تلك السفن العربية ، وفي أي البحار تسير ؟ هل تقع هذه الثغور على شاطئ بحر الروم أو البحر الأحمر أو الخليج الفارسي ؟ . ومن الثابت تاريخيًا ان شواطئ بحر الروم ، بما في ذلك مصر وسوريا ، كانت قبل الفتح العربي مأهولة بأقوام ليسوا غربًا ولا مستعربين . وأين نقاط الارتكاز التي أنشأها العرب ليلجئوا اليها كلما هبت عليهم العواصف أو لينفروا ما ينقلون من بضاعة ويأخذوا ما تراكم في عنابرهم من خيرات تلك البلاد على نحو ما كان يفعل السوريون القدماء ، أي الفينيقيون .

وفي الحقيقة اننا نعلم العرب وكل الشعوب القديمة اذا ما أردنا مقارنة عبقريتها البحرية

بعبقرية الفينيقيين . فهو لاء أسسوا أول إمبراطورية بحرية في العالم القديم ، واتخذوا الأهمية التامة والعدة الكاملة لهذا العمل الجبار . فبنوا مدنهم على شواطئ البحار وأنشأوا سلسلة من المراكز على شاطئ المتوسط وجزره . فكانوا لا يكادون يودعون نقطة ارتكاز حتى تطل عليهم أخرى . ما أشبه هذه المراكز بوكالات لشركة عظيمة تتولى بيع ما تحمله السفن الفينيقية وجمع الخيرات التي تنتجها البلاد . وبالرغم من نشاطهم ومهارتهم وتقوتهم في فن الملاحة واستخفافهم بالمتاعب واستهتارهم بالخطر والموت ، لم يفكروا في أحد الأيام أن يجعلوا مركز نشاطهم خارج حوض المتوسط . ولم يذكر المؤرخون إلا محاولة حاولها « حنون » القرطاجني حول الشاطئ الأفريقي ، ويرجعون انهم بلغوا بحر البلطيق .

ومن الغريب أن كتب السير العربية لا تتحدث مطلقاً عن الرحلات البحرية التي قام بها جماعة من العرب القدامى ولا تذكر شيئاً عن تلك الأساطيل . حقاً ، أن العرب كانوا يملكون أسطولاً عظيماً ، وحداته الإبل ، ويقومون برحلات جبارة لكنها على سطح اليابسة عبر الصحاري . وليس في ذلك غضاظة على العرب . فإذا كان قدر لغيرهم أن يذللوا الأطلسي وغيره من البحار ، فانهم قد ذلوا الصحاري الشاسعة القاحلة ، وكانت قوافلهم لا تنفك تجوب البلاد من قلب الصين والهند شرقاً حتى بلاد الروم غرباً . وإن الأفويه والمجوهرات والحراير التي بلغت أوروبا وحفزت كولنيس للذهاب إلى الهند ، قد نقلتها قوافل عربية . بهذا فلياجد العرب . أما أن نباهي باكتشاف لم ينهض أي دليل على صحته ، ولم يحدث أثراً ما في حياة البشر وننتقص من رائد جبار أوجد عالماً جديداً ، فهذا ما لا يقره وجدان ، ولا يحجزه عقل يحسن التقدير والتمحيص .

ومن المعلوم أن كولنيس لما بدأ يتأهب لرحلته تلك ، لم يكن يقصد بلاداً نائية كائنة وراء المحيط ، لا اسم لها ، بلغها في القرون الخالية نهر من العرب أو النوبيين أو غيرهم من الشعوب ، بل كان يقصد بلاداً حقيقية معينة ، تدوَّق خيراتها وعرف الشيء الكثير عنها ، وتواترت الروايات عن غرائبها وكنوزها . أما العرب الذين غادروا شواطئ أوروبا الغربية ، مغذين السير عبر الأطلسي ، فإذا كانوا ينشدون من وراء هذه المغامرة وأي البلاد كانوا يقصدون ؟ هل كانوا يسرون على هدى ؟ هل حملوا معهم زاداً يكفيهم مؤونة طريق يعرفون أين تبدأ لكنهم يجهلون أين تنتهي ومتى تنتهي ؟ واننا لا نسأل الأب عن السنة التي عرف العرب فيها أميركة ، بل نسأله عن القرن الذي بلغوا به شواطئ ذلك العالم المجهول ، وهل كان ذلك قبل الميلاد أم بعده ؟ ١ .

واننا الآن نودع الحقبة التي تقدمت ظهور الاسلام حيث لم يكن للعرب نفوذ سياسي

مرموق يتجاوز تخوم الجزيرة العربية ولا دولة مرهوبة الجانب ، ونقفز الى ما بعد الاسلام ونتكلم عن التجارة في زمن الدولة الاسلامية التي كانت تمتد من تخوم الصين حتى الأطلسي . وهذه الفترة من الزمن هي الفترة المثلثة للعربي أن يعمل ويتجر ويكتشف . ولا يجوز أن تقارن بين قوة الدولة الاسلامية وقوة القبائل العربية قبل أن يجمعها الاسلام .

الدكتور قسطنطين زريق ، أحد أساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأمريكية ، بحث قيم عن التجارة الاسلامية أقتطف منه ما يتعلق بخطوط المواصلات البحرية والبرية . إن أهم الموانئ في زمن الدولة الاسلامية على الخليج الفارسي هي : البصرة ، الألبسة ، سيراف ، مسقط . منها تخرج السفن الصينية والمراكب العربية ، وتمر بمضيق هرمز ، فاقسم الغربي من الهند ، فالساحل الجنوبي المعروف ببلاد الملبار ، فضيق سرنديب ، فجزر الهند الشرقية ، فأنغوى على شواطئ الصين . ويرجح أنهم بلغوا اليابان أو شبه جزيرة كوريا . وهناك طريق فرعية كانت تدور حول بلاد العرب فتتمر بموانئ ظفار فعبد فعيذاب على الشاطئ المصري . وأحياناً كانت تقلم بعض القوافل من عدن فزيلع على شاطئ الحبشة ، فمدغسكر التي كانت تعرف عند العرب بجزيرة الواقواق . ويستطيع القارئ أن يلاحظ أن هذه السفن في سيرها كانت تسير محاذية للشاطئ ، تحاذر أن تبتعد عن البر خوفاً من الضلال الذي ينتهي بالموت غالباً . هذه هي الطرق الرئيسية للتجارة الاسلامية ، فهل لا يزال الأب مصرّاً على قوله ان العرب بلغوا أمريكا عن طريق اوربا ، بعد ما عرفنا المدى الذي بلغته هذه السفن في أعظم رحلاتها ، وذكرنا الشواهد والأدلة التي تدحض هذا الزعم ؟

ولابد من المأمة وجيزة ، تماماً لفائدة ، بالتجارة البرية عند العرب قبل الاسلام وبعده ان التجارة أشرف حرفة في نظر العربي . فيقول استرابون الجغرافي اليوناني « العرب جميعهم أهل تجارة » ويتداول أهل مكة قبل الاسلام هذا القول المأثور « من لم يكن تاجراً فليس بشيء » . وكانت التجارة العربية تجري بين المدن الآتية : مكة ، تدمر ، البراء ، سبأ . وكان لقريش رحلتان احدها لليمن والأخرى للشام . أما في زمن الدولة الاسلامية فقد طالت هذه الخطوط التجارية وتفرعت حتى عمت سائر الأقطار التي دانت لحكم العرب . فأصبح بمكنة القوافل أن تنتقل آمنة من حدود الصين حتى بلاد الروم . وذكر الدكتور زريق في بحثه حديثاً ورد في كتاب « حديقة الورد » للشاعر الفارسي سعدى : « كنت أعرف تاجراً له قافلة كبيرة من الجمال وحاشية من المماليك الخدام ، أضافني ذات ليلة في منزله في جزيرة كيش ، وظل طول الليل يتكلم عن تجارته وأعماله الى أن قال : يا سعدى انني أرغب في القيام بسفرة تجارية أخيرة أتمها واعتزل التجارة . قلت : وما هي هذه السفرة ؟ قال : أجل كبريت

فارس الى الصين وأجلب بخار الصين الى بلاد الروم ، فاستبدل به هناك أقمشة حريرية وأقلها من بلاد الروم الى الهند ، وأعود بقولاذ الهند الى حلب ، فأحمل زجاج حلب الى اليمن ، وأرجع أخيراً بئساب اليمن الى فارس . فاذا وصلت الى وطني بسلام ، اعتزلت التجارة الأجنبية والأسفار البعيدة « اه . وهناك طرق برية أخرى تسير وتفرع عبر افريقيا وهي : (١) الطريق الشمالية ، تسير من مصر ، فالمغرب ، فالأندلس . (٢) الطريق الشرقية ، من مصر ، الى

النوبة ، فبلاد البجة . (٣) الطريق الغربية من الغرب عبر الصحراء الكبرى فبلاد النيجر . نستنتج مما سلف ان التجارة الاسلامية ابان ازدهارها اتخذت سوقاً لها قارتي آسيا وأفريقيا والقسم الشرقي من أوروبا الذي يتاخم البلاد الاسلامية ، وأن التجارة البحرية بلغت ذروة نشاطها على شواطئ الهند وجزء من الصين والشاطئ الافريقي .

أما الاستدلال اللغوي من لفظتين أو أكثر تشبهان ألفاظاً عربية فحجة ضعيفة غاية الضعف . من المؤكد ان العرب لا يعرفون التمساح معرفة حقيقية لأن الأنهار معدومة في شبه الجزيرة العربية . ولماذا أطلق العرب على هذا الحيوان اسم التمساح ولم يطلقوا عليه إحدى هاتين اللفظتين القاطور أو قرمان ؟ فهل خصوها بالأجانب وخصوا لغتنا بلفظة التمساح ؟ (١) . ومن المعلوم ان الدخيل على بلاد جديدة لا يطلق على ما يرى مما ليس له به عهد أسماء من عنده . بل يدعوها بالأسماء التي يسمعونها من أفواه سكان تلك البلاد . فالأجانب الذين يقدون الى بلادنا ويشاهدون أشياء لا مثيل لها في بلادهم من مأكل أو مشرب أو ملابس أو أثاث ، لا يختر لهم أن يرتجلوا أسماء جديدة بل يلفظونها كما اعتاد السوري أن يلفظها بلسانه العربي . فالعباءة والبرنس والطربوش والديوان والقهوة والبرغل والكبة ، تسربت الى آدابهم بلفظها العربي . فكيف تسنى للعرب أن يقفوا موقف الأستاذ بين هندو أميركة ويقولوا لهم : « انكم لا تعرفون شيئاً ، ان هذا الحيوان لا يسمى كذا ، بل انه يدعى بالقاطور أو القرمان !! »

أما ان كل كلمة قد اعتمدت بالألف واللام أصبحت عربية الأصل ، فهذا ليس بصحيح . لأن في الفرنسية مثلاً كلمات كثيرة تبدأ بألف ويستحيل أن تكون عربية الأصل . وأن هناك كلمات عربية لا تحصى تسربت الى اللغات الأجنبية لما استبحرت الدولة العربية ، ولا تزال تستعمل كتابةً ولفظاً دون أن تدخلها ال . وعلى سبيل المثال نذكر هذه الكلمات : amiral (أمير البحر) ، azur (أزرق) ، chime (كيمياء) ، magasin (مخزن) ، cable (حبل) ، (بارجة) barce وما دام هذا الاتصال قد تم بين البحارة العرب ومكان أميركة الأصليين فإذا

(١) تمساح العربية أصلها من المصرية القديمة « امباسح » : المقتطف .

استطاع العرب أن يقتبسوا عنهم من لغة أو صناعة أو غير ذلك من مظاهر الحياة ؟ لأن الشعوب لدى احتكاكها ببعضها ، سواء عن طريق التجارة أو الحرب أو الجوار ، لابد من حصول اقتباس متبادل من جانب الطرفين في شئون شتى لا يقتصر على بعض الكلمات ، بل كثيراً ما يؤدي الى اقتباس من صناعات وفنون وأنظمة حكم وطرق معيشته ، كما حصل أثناء الحروب الصليبية بين الافرنج والسوريين ، وكما يحصل كلما جرى اختلاط . فقد تعلم كثير من منهم اللغة العربية وذلك لكي يتمكنوا من التعامل مع السوريين في المتاجرة ، والتفاهم معهم في كثير من المناسبات . كما ان بعض السوريين اقتبسوا لغات أجنبية . وقد أتاحت هذه الحرب للافرنج أن يخذلوا بعض الصناعات السورية كصناعة السكر والورق وتربية دود القز والاقشة والأصباغ ...

وان اتسع التجارة وازدهارها عند العرب قبل الاسلام ، أتاح لهم أن يقتبسوا مفردات كثيرة من الشعوب التي اختلطوا بها كالنبط والأحباش والفرس والسرانيان والروم ، وعربوا هذه الألفاظ ونطقوا بها نطقاً خلع عنها عجمتها وأكسبها لهجة عربية صرفة . ولا بد من أن تكون هذه الشعوب التي ذكرناها قد أخذت الكثير من الألفاظ العربية . وأرى أن وجود ألفاظ من أصل أجنبي في صلب اللغة العربية ، دليل على حيوية الشعب العربي ونشاطه . انه دليل على ان ذلك الشعب لم يعيش منعزلاً في بقعة منعزلة عن المعمور بل كسر النطاق التي ضربته حوله الحواجز الطبيعية وخرج من عزلته وانه لم يعيش منفرداً لا يعرف العالم ولا العالم يعرفه . واذا كان قدر للعرب أن يبلغوا أمريكا ، فاماذا لم نر في لغتنا كلمة واحدة تعود في أصلها الى أصل أمريكي ؟ ولماذا لم يجد الرواد الأولون الذين ارتادوا تلك الإصقاع شيئاً ينسب الى العرب ؟ بينما نرى الملاحة الفيزيقيين تركوا اسكان حوض البحر المتوسط ثروة لا تقدر ولا تندثر : هي الأبجدية . هذا عدا التماثيل الكثيرة المصنوعة من الشبة والعاج أو الحجر والآنية الفخارية أو المعدنية . فكانوا بمثابة قنطرة تصل الشرق بالغرب .

وأثبتت المباحث أن ما من أحد من شعوب العالم العربي قدر له أن يدخل أمريكا قبل منتصف القرن التاسع عشر . فيذكر الدكتور فيليب حنسي انه عثر على كتاب يصف رحلة شاب سوري اسمه الطوننيوس البشعلاني دخل الولايات المتحدة عام ١٨٥٤ وتوفي عام ١٨٥٦ وقد أقام له أصدقاؤه الأمريكيون نصباً من الرخام كتبوا عليه تحت اسمه «ولد في جوار بروت (سوريا) في ٢٢ اغسطس ١٨٢٧ وتوفي في نيويورك ٢٢ اغسطس ١٨٥٦ » . فيكون هذا الشاب أول مهاجر سوري الى أمريكا الشمالية . ولا يبعد أن يكون أول مهاجر من بلاد عربية وطىء أرض القارة الأمريكية . صافيتا (سوريا) الهباسي بمقرب

النقابة (١) جماعة من أصحاب رءوس الأموال أو رجال المالية، يؤلفون وحدة غرضها القيام بمشروع يحتاج الى مال كثير أو موارد عظيمة ، حتى يخرج الى حيز الفعل ، وبخاصة مشروع يرمي الى السيطرة على سوق حاجة من الحاجيات . (٢) بمعنى أوسع : هي طائفة من الناس تتألف للقيام بعمل ما والتوسع فيه ، وبخاصة جماعة غرضها السيطرة على سوق بعض البضائع بأن يستولوا عليها ثم يقومون بالاعلان عنها اعلاناً واسع النطاق ، أو السيطرة على مجموعة من الصحف . (من نقائص هذا النظام ومخاطره الكبرى في المجتمع قوته على الاحتكار وأثره في الترويح . فان نقابة من نقابات الصحف تستطيع أن تخلق من أي كاتب أو مؤلف شخصية عالمية في يوم وليلة ، من غير تقدير حقيقي للقيم والمقاييس العامة أو الأدبية) ، وننقل هنا شاهداً نشرته صحيفة « الرأي العام الأمريكية » (١٦ من فبراير : ١٨٨٩) .

What are called newspaper Syndicates are rapidly extending their field of action. By establishment of offices not only in America, but at Paris, Berlin, Vienna they are able at one stroke to confer world-wide fame on any author whose work is at their disposal.

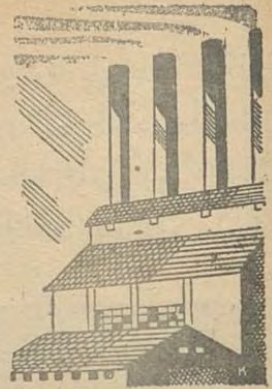
النقابية : (١) حركة قام بها عمال الصناعات ، والغرض منها أن ينقلوا ملكية عُدَد الانتاج والتوزيع ووسائلهما من أيدي أصحابها الى اتحادات العمال ، حتى يعود النفع المادي برمته على العمال وحدهم ، متوسلين الى ذلك بالاضراب العام . وقد أصبحت قوة النقابة من عوامل القلق في النظام الاجتماعي القائم على الرأسمالية . ونستند الى شاهد ننقله عن البحاث J. R. Hartley الانجليزي نشره سنة ١٩١٢ ، أفضى فيه بأن النقابية قد تتقنع تحت اسم « الاتحادية الصناعية » فاللفظان عنده بمدلول واحد :

Syndicalism, open or baptised under the name of industrial unionism, is of the unsettling influences in the world of works.

(٢) مذهب اشتراكي وضعه رجال النقابات الفرنسية او اتحادات التجارة ، والاسم الفرنسي Syndicalisme لم يدل أول الأمر على غير معنى الاتحاد التجاري ، ولا يزال هذا المعنى المحدود من دلالات هذا اللفظ الى اليوم . وكانت الفكرة النقابية قبل الحرب العظمى الأولى ، ذات أثر بالغ في نظام الاجتماع ، ولكنها اندججت بعد في مذهب الحزب الشيوعي وما يماثله من المذاهب والجمعيات . والاصطلاح إما أن يدل على مذهب أو نظرية ذات غرض تنظيمي ، وإما على الأسلوب الذي يلجأ اليه النقابيون لتحقيقاً لمطالباتهم . والمذهب النقابي دون كل المذاهب الأخرى الماثلة له يمت بصلة الى طبقة العامة Proletaria ، فهو كما وصفه بعض الكتاب « اشتراكية طبقة العمال » Le Socialisme Ouvrier على العكس من ضروب الاشتراكية الأخرى التي يشر بها أصحاب الطبقة الوسطى أي المفكرون : Intellectuals والنقابي Syndicalist ، هو من يقول بالنقابية .

الزجاج

في الصناعة الحديثة



أصبح للزجاج منافع جديدة استمدتها الصناعة من عدم قابليته للاحتراق أو التلف وقدرته على عزل الحرارة والكهرباء والوقاية من الحشرات الضارة . فهناك الزجاج الزجاجي الذي يستعمل في البناء والصوف الزجاجي الذي ينض من الصوت والشريط الزجاجي العازل والاجهزة الممتوعة من مواد زجاجية .

الزجاج مادة ذات ماضٍ طويل ومستقبل مملوء بالمنافع والتجارب . فانك تستطيع الآن أن تنشر الزجاج كما ينشر الخشب ، وأن تطويه كما يطوى الصوف ، وأن تنسجه كما ينسج الحرير ، وهو يستعمل في خياطة الجروح ورؤية السمك في قاع البحر . والزجاج الآن من القوة بحيث يوضع على الجليد ، ثم يختم بالرصاص المصهور ، دون أن ينشق ، وذلك نتيجة البحوث التي يقوم بها العلماء ، وخاصة في بريطانيا حيث لأبحاث الزجاج مقام خاص . وتصنع منه الألواح الصلبة المسطحة والافران والنظارات الشمسية غير القابلة للكسر ، والتي تفوق ما كان مستعملاً منذ سنوات قليلة .

منذ ثلاثة آلاف وثلاثمائة عام امتزج حامض باحدى المواد المضادة للحوامض ، فنتج الزجاج الذي بفضل استطاع الناس أن يروا ما هو خارج منازلهم ، وأن ينظروا الى الجبال الموجودة في القمر ، وأن يشاهدوا الحياة المكتظة بجراثيم البكتريا . ومنذ ذلك الوقت استمر البحوث في التجربة على هذه المادة التي تعتبر أقدم المواد الصناعية في العالم ، حتى استطاعوا أن يبنيوا المنازل من الزجاج وأن يلبسوا الملابس المصنوعة من مواد زجاجية .

وفي بريطانيا تنسج هذه المواد الزجاجية من خيوط الزجاج الرفيعة . وأوقية واحدة من الزجاج تخرج ٤٨٣ كيلو متراً من الخيط وهو في خمس سمك شعرة من شعر الانسان . ولكنه بالرغم من ذلك أقوى من الصلب وغير قابل للاحتراق أو التلف أو التأثر بالحشرات الضارة ، فضلاً عن أنه أحسن عازل للحرارة والكهرباء .

وهناك مادة زجاجية تشبه الحرير تستعمل في عمل الستائر والاثاث فهي لا تحترق

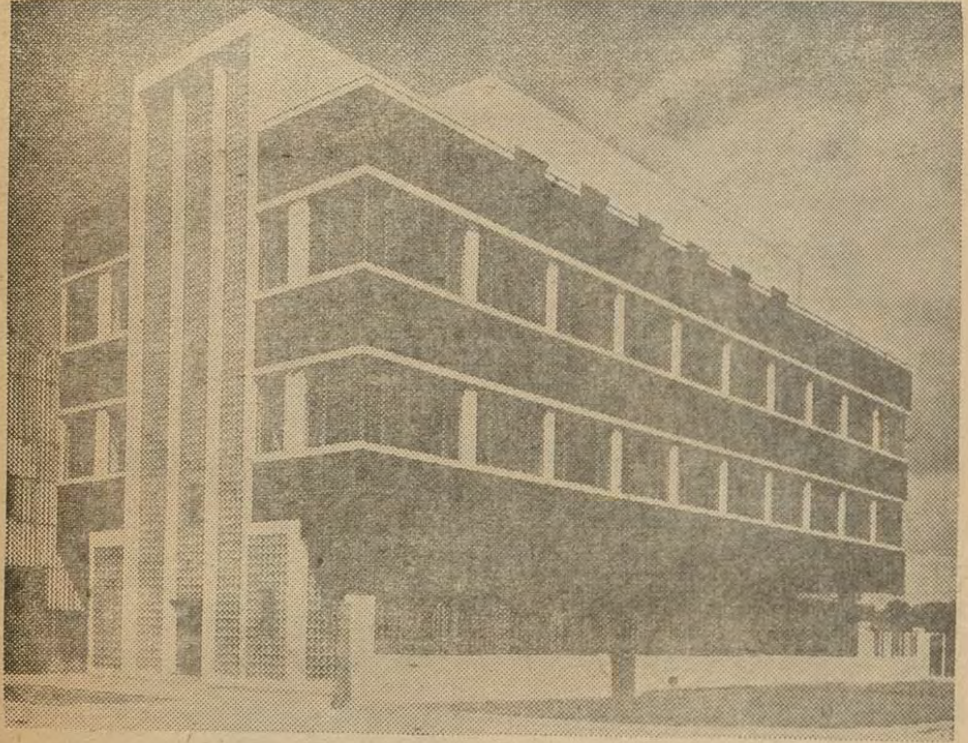
وقد استعملت فعلاً في عمل أربطة الرقبة ولوازم العرس بما فيها من قبعات وأحذية، وكذلك ملائع الاطفال نظراً لنعومتها، ولطافة ملمسها. واذا مزج الزجاج بالعجين استطعنا أن نعمل منه ملابس الرقص، التي تعكس النور في المراقص وتتلألأ كالفضة فوق أرضية ناصعة البياض. وحديثاً توصل البحّاث في انجلترا الى حل مشكلة صبغ الأقمشة الزجاجية :



تبين هذه الصورة شريطاً طازلاً وخبوطاً وعروفاً مصنوعة من الزجاج، يستخرج من كل منها ما يبلغ طوله ١٦١ كيلو متراً من الخيط. ويوضع كل عرق زجاجي في فرن حار من تحته شريط مثقوب من البلاتين، ومن داخله تشد خيوطات جباله. لزجاج المنذاب. ثم تعالج الخيوط الزجاجية بعد ذلك معاملة خيوط النطن أو الصوف فتتسج أقشة نافعة.

ويجب ان يكون الزجاج الذي يستعمل في عمل الخيوط من نوع جيد جداً. فتذاب المواد الخام الأساسية اللازمة لعمل عروق الزجاج الرخامية، ثم تعاد اذابتها بعد ان تبرد، ثم تصنع خيوطاً. وينتج كل عرق منها ١٦١ كيلو متراً من الخيط.

ولهذه العروق الزجاجية فوائد أخرى كثيرة . منها أن صوف الزجاج يصنع من خيوط زجاجية مضغوطة في غربال منتظم الثقوب ، ثم تدلى في الهواء مكونة طبقة زبدية من الزجاج الحريري، تشبه الصوف أو القطن شبيهاً كبيراً . ويمكن وضع الصوف الزجاجي بين الخواط والشقوق بحيث يكون عازلاً يحمي رطوبة المنازل صيفاً ودفئها شتاء . فانه لا يصل الحرارة بسهولة .



منظر خارجي لبناء جديد اتخذته شركة أخوان «وجن» مكتباً لها في «تورنلي بانك» بمقرية من غلاسكو، وهو من تصميم المهندس الانجليزي «سلون بيكيت» من برمنجهام . وترى في مدخل البناء قوالب الزجاج الموصلة للضوء الى مرق السلم . وقد استخدم الزجاج ابتداءً في تركيب جدران الدور الارضي . أما جدران الطبقات التي تلي هذا الطابق ، فقد غشيت بزجاج أسود صقيل يسمى في الصناعة «فيتروليت» : Vitrolite

ويستعمل أيضاً هذا الصوف لالتقاط الصوت . فالمنازل الجديدة في بريطانيا لها سقف مزودة بهذا الصوف ، فاذا طرقت سقف حجرة بمطرقة ، فلا ينفذ اليها الصوت . وكذلك تستعمل تلك الألياف الزجاجية في تصفية الهواء . فاذا عبئت في اطرار صغيرة ذات

شبكات سلكية من الجانبين وتوصل الى فتحة في حائط خارجي ، فان الصوف يصبح
كالأسفنج ويرشح جميع الأتجار العالقة في الهواء المندفع نحو الغرفة



تبين هذه الصورة نماذج من الزجاج الذي يستخدم في المصانع لمقاومة الحرارة،
واسمه الصناعي «هيزل : Hysil . ويقوم بصناعته في بريطانيا بيت « تشانس »
Chance المعروف ، وقد نجح هذا البيت في كثير من التجارب التي تتعلق بإنتاج
الزجاج . ويصنع من صنف من الزجاج الذي يقاوم الحرارة صحاف لا يمتزق
وأفران زجاجية وأدوات للطبخ

والزجاج الصلب يستعمل الآن في عمل الآجر لبناء المنازل . وانك تستطيع ان تتصور
منزلا ذا حوائط تشف عن لون ساحر وضوء خفيف آت الى الحجرات من جميع النواحي .

وهذا الطوب الزجاجي لا يحتاج الى ذخيرة فضلا عن انه متين ورخيص الثمن جداً . وهو خفيف الوزن ويمكن غسله بسهولة بالأسفنج . أما الجدران المصنوعة من الطوب المتشابك فيمكن أن تنفذ من خلالها الأشعة فوق البنفسجية . وبهذا يصبح داخل البيوت مشبعاً بأشعة الشمس التي لا يستطيع الحصول عليها إلا على شواطئ البحار .

ويكفي هذا بياناً لمنافع الزجاج في بناء المنازل . أما في داخل المنازل فللزجاج فوائد أخرى مستحدثة . فقد كانت أدوات المائدة مثلاً تصنع من زجاج رديء النوع أو هش أو غلي الثمن . أما الآن فبفضل الرمال التي تحتوي على الحديد ، والتي استكشفت في اسكتلندا ، يمكن عمل أدوات زجاجية المائدة جميلة المنظر لامعة وضاعة . وقد استمر قادة الصناع والعلماء في انجارترا عاكفون على التجارب حتى توصلوا الى انتاج أنواع جديدة من الزجاج أمتن وأجمل من سالفها ، وهي في الوقت نفسه بخسة الثمن .

ثم الزجاج الذي يقاوم الحرارة . فان أصحاب البيوت المصنوعة من الزجاج سوف يطهون طعامهم في أفران زجاجية ويقلون البيض في مقال زجاجية ويدفئون حجراتهم باستعمال المدفئات الزجاجية ويسنون أمواسهم على مسنات زجاجية . ويعزفون على بيانات زجاجية .

واذا رجعنا للكلام عن منافع الزجاج العاجلة نرى أن تجارب الحرب في عمل النظارات التي تلتحم بغاز الاسيتيلين قد أدت الى صنع نظارات شمسية تحجب الأشعة الضارة بالنظر دون أن يشعر لابسها انه في جو مظلم . فان الأشعة تحت الحمراء هي التي تؤذي العين وليس الضوء . وفي بريطانيا تباع أحسن عدسات النظارات في العالم جملة تلقاء قروش قليلة .

ثم ماذا ؟ بعد أن رأينا ان الزجاج يلبس ثياباً وتتخذ منه بيوتاً . ان خشية من الزجاج تحيل العربة الرخيصة سيارة مقفلة فاخرة . أما سائل الزجاج فيزيل التآكل من داخل الأنابيب الساخنة ، وتحل خيوط الزجاج محل الأوتار المستعملة في حياكة الجروح . وأما فتائل الزجاج التي تستعمل في مصابيح النفط وفي القداحات فلا يتكاثف عليها الكربون ولا يصيبها التلف بحال

لم نبلغ بعد مبلغ القول بأن هذا العصر هو عصر الزجاج . إلا أنه يمكن ان يقال بحق انه عصر الرجال الذين تعلموا منافع الزجاج وأدركوا قيمته .

العقيدة والعقيدى والمذهب العقيدى

Dogma, Dogmatist, and Dogmatism

العقيدة : Dogma

From Greak(١) = That which seem good, an opinion, view, a public decree, edict, or ordinance; from Gr. dokein = think, seem, appear, seem good (that is to be ones opinion, pleasure, or will, be decreed .)

المعنى العام : (١) فكرة مقررة : (٢) مبدأ أو ميل أو نزعة أو متجه فكري أو قاعدة ، يعتقد بأنها يقينية ثابتة : (٣) مذهب أو مبدأ يفرض تقبله أو الاعتقاد به ، خضوعاً لسلطة ما ، على العكس مما يتقبله العقل بناءً على حكم التجربة أو الاختبار ، وبالأجمال حكم ديني مفروض بحكم السلطة (٤) التعاليم أو الأحكام المفروضة بسلطان ما : (٥) نظرية تقوم على مبادئ أو ميول دينية : (٦) مجموعة القواعد النصرانية ، كما تقرها الكنيسة العليا أو فرع من فروعها .

في فلسفة كنت : Kant : فرض تركيبي قائم على تصورات الإدراك ، وهذا يضاد : أولاً — الحكم التحليلي : ثانياً — حقائق التجربة : ثالثاً — الفرض الرياضي ، وغير ذلك .

Quot., 1893. J. Orr. God and World, I. 26-note : Dogma I take to be a formulation of doctrine stamped with ecclesiastical authority

1856 Emerson. Eng. Traits, Lit. (Bohn) II. iii : if, going out of the region of dogma, we pass into that of general culture

العقيدى : العقيدون Dogmatist(s)

(LL. Dogmatistes) — Gr. dogmatistes : one who maintains dogmas.

المعنى العام : (١) من يقول بالاعتقاد ، أو يروج لعقائد خاصة ويدعو إليها ، وبخاصة من يحاول أن يفرض على الغير آراءه وعقائده ، على أنها يقين : (٢) من يبشر بآراء جديدة أو نظريات وأحكام مبتكرة : (٣) من يقول بصحة مبادئ أو عقائد أو أفكار غير قائمة على البرهان أو التجربة : (٤) من يفرض تعاليمه بحض سلطانه .

في الفلسفة : من ينتمي الى المذهب العقيدي في الفلسفة .

Quot. 1854. Kingsly iv-137 : Dogmatists : men who asserts so fiercely as to forget that a truth is meant to be used, and not to be asserted.

1858. Mansel Bampton Lect. i (ed. 4) — In the latter language of philosophy : the term Dogmatists was used to denote philosophers who endeavoured to explain the phenomena of experience by means of rational conceptions and demonstrations.

في الفلسفة القديمة : فئة من فلاسفة الطبيعة القدماء أنشأها أبقرط ، متخذاً اسمها من لفظ يظهرها منابذة للاختباريين : Empiricists والأسلوبيين : Methodists وكانوا يقيمون اعتقادهم على استنتاجات أو أفكار يستمدونها من فروض نظرية ، يقولون إن من المستطاع تأييدها ، أو إقامة الدليل عليها منطقياً .

المذهب العقيدي : Dogmatism

Mod.Lat., dogmatismus (Gr. as if dogmatismos, dogamatizein = dogmatize).

المعنى العام : (١) القول بأن مذهباً أو رأياً ما يقيني : (٢) صفة أن تكون ذا معتقد أو ذا اعتقاد في شيء : (٣) ذو سلطان أو مزود بالسلطة في مسائل المعتقد والفكر : (٤) يقيني : لا يقبل الجدل : (٥) التشدد في الدفاع عن صحة المعتقد أو الأفكار أو الدعوة اليها .

في الفلسفة : (١) أية نظرية تقوم على أصول يملئها العقل وحده ، من غير أن تستند الى تجربة ، على الضد من نظرية الشك : Scepticism ، وعلى الاجمال أسلوب في التفكير الفلسفي يقوم على مبادئ لم يسبرها التأمل : (٢) مذهب فئة من الفلاسفة يعرفون بالعقديين .

Quot., 1853 : mansel Bampton Lect. i-(ed. 4.)-the theological Dogmatism is ...an application of reason to the support and defence of pre-existing statement of Scripture.

1877. E. Caird. Philos. Kant i - 2 : what Kant meant we may best understand if we consider how he opposes Criticism to tow forms of philosophy, Dogmatism and Scepticism.

في فلسفة كنت : Kant : (١) أسلوب اعتقادي في البعديطبعيات : Metaphysics (الغيبيات) : (٢) يقين لم يحلله النقد بما يملئ العقل عفوياً بمجرد الظن أو التصور .

من حقيقة أبيقور^(١)



فرغت الآن من مطالعة كتاب ، يعرض فيه أحد الشعراء الفلاسفة ناصراً لا يفرحون ولا يألمون ، ولا يتشوّفون الى جديد العرفان . وما كدت أخرج من أرض هذه «الأتوبيا» الجديدة ، وأعود الى أرض دنياي هذه ، فأرى الناس من حولي يناضلون ويحبون ويألمون ، حتى داخني الشعور بمحبتهم ، وأحسست بالرضى عن مشاركتهم فيما يحزنون ! لشد ما نرى في هذا وحده الفرح والحق ! إنهما الفرح في الوصب والعذاب . كالبسم في جراح الشجرة الكريمة . لقد أمت أولئك الناس أهواءهم ومنازعتهم ، فأمتوا فيهم كل شيء : أمتوا اللذة والألم ، وأمتوا الوصب والشوق ، وأمتوا الخير والشر والجمال : أمتوا كل شيء ، وأمتوا الفضيلة على الخصوص . فهم عقلاء حكماء بلا ريب ، ولكنهم مع ذلك لا يسوون شروى فقير ، لأن قيمة المرء فيما يبذل من جهد ونشاط . وأي شأن لحياتهم مهمات وامتدت ، إذا هم لم يملؤوها بالعمل أو يحيوها ويعيشوا فيها ؟

يفيدني هذا الكتاب الفائدة الجلى من حيث يُعز في خاطري هذه الحال القاسية التي تتجيب الإنسان ، ومن حيث يصل بيني وبين هذه الحياة المؤلمة ، ومن حيث يهدف بي الى تقدير الناس أمثالي ، والى العطف الكبير على الإنسانية . وفضل هذا الكتاب في أنه يجيب اليك الحقيقة الواقعة ، ويحذرك من العقلية الخرافية والعقلية الواهمة . وهو إذ يعرض أحياء لا يألمون ، إنما يعلمنا أن هؤلاء المحزونين المنعمين ليسوا لنا أكفاء ولا أقراناً ، وأن من أكبر الجنون أن نحوز حياتنا الى حياتهم ، إن كان التجاوز ممكن الوقوع .

يا للسعادة البائسة ! أيكون عند هؤلاء فن ، وقد فقدوا المنازع والأهواء ؟ وكيف يكون فيهم شعراء ؟ يا ويحهم اجهلوا ذوق القرينة الملحمية التي تستلهم شواظ الحقد والغرام ، والقرينة الهزلية التي تهزأ على إيقاع من نقائص البشر ومبازلهم . لقد عجزوا عن أن يتصوروا في خيالهم بأنسين كـ «ديدون» و «فيدر» وما رأوا قط هذه الأشباح العلوية القدسية التي تتخطر مرتعشة تحت أشجار الآس الخالدة .

عني ضمّ إزاء أعاجيب هذا الشعر الذي يؤلّه أرض البشر . لا يعرفون شاعراً كـ فرجيليوس

فاذا قيل انهم سعداء فلائهم يملكون مصاعدا يصعدون بها الى العلاء . على ان بيتاً واحداً من الشعر الجميل قد أحسن الى الناس أكثر مما أحسنت اليهم « روائع » الصناعة المعدنية على الاطلاق .

يا للتطور الذي لا يرق ولا يلين ! إن هذه المجموعة من المهندسين لا تعرف الأهواء ولا الشعر ولا الغرام . واحسرتاه لهم ! كيف يحبون وهم سعداء ؟ إنما الحب لا يعمر ولا يزهر إلا بالألم . أليست اعترافات العشاق هتافات الشدة والضيق والبرم ؟ لقد هتف الشاعر الانجليزي في إحدى نزوات حبه : « آه لو أن الله كان بأسأ شقياً في مثل بؤسي وشقائي ، إذن ما استطاع من أجلك أنت يا محبوبتي أن يألم وأن يموت ! »
لنغفر للألم وقعه في أنفسنا ، ولنعلم حق العلم أنه من المستحيل أن نتصور سعادة أعظم من السعادة التي نشعر بها في هذه الحياة الشديدة الحلاوة والمرارة ، الكثيرة السوء والصلاح ، المثالية الواقعية معاً ، التي تضم كل شيء وتصل بين النقيض والنقيض . فهذه الحياة جديقتنا التي ينبغي أن نحرق أرضها بعزيمة ونشاط !

محر روهي فيصل

دمشق

بحث مجبى : في الفلسفة وعلم النفس

المذهب العملي Pragmatism

(Pragmat (ic) & ism). Gr. bramatikos = active, versed, in affairs : pragma = a thing done, a fact, pl. pragmata = affairs, state affairs, public buisiness, etc. Also Practicalism.

(١) مذهب أن المعنى الكلي الذي يتضمنه تصور من التصورات إنما يتجلى في النتائج العملية ، ملاسماً صورة من السلوك أو الاخلاق بحسن احتداؤها، مقروناً بعجارب ينتظر ظهور نتائجها العملية، اذا كان ذلك التصور صحيحاً : (٢) الاسلوب الذي يتمحور به قيمة قضية يدعى بأنها صحيحة ، بما يبرز من نتائجها ، أي بما يكون لها من الآثار العملية في توجيه مصالح الانسان وأغراضه

Quot., 1900, W. Caldwell in "Mind" Oct-436- in this so called Pragmatism or Practicalism of Prof. James.

سيدة القصور^(١)



وهذه قصة ثانية جميلة يقدمها لقراء العربية الأستاذ الشاعر الكبير علي الجارم بك ، و « سيدة القصور » وسابقتها « شاعر ملك » تكشفان لنا عن ملكة جديدة للجارم بك لم نكن نعرفها فيه من قبل ، فقد كان الشعر أساس مجده الأدبي حتى اليوم ، ولكن هاتين القصتين أظهرتا أنه قاص مجيد ، فبذا لو توفر على هذا النوع من الانتاج الأدبي فأخرج للقراء القصص الكثيرة ، وبخاصة أنه يستوحى في قصصه صحفاً من تاريخنا المجيد فيعيد هذه الصحف حية قوية .

وقد أجاد الكاتب في عرض حوادث القصة ، وفي صياغة الحوار ، وأسلوبه جميل قوي ، ولا غرو فهو أسلوب شاعر عظيم ، استمع الى هذه القطعة الصغيرة من القصة ، وهي جزء من حديث الشاعر عمارة الى سيدة القصور .

— يا مولاتي ... إننا معاشر الشعراء نرى الصور بعيون من الفن لا يبصر بها سوانا . نرى الجمال فنذهب بخيالنا في روضاته فيتكشف لنا عن بدائع لا تراها العيون ... نحن نعيش في دنيا غير دنيا الناس ، ونفهم من أسرار الحسن غير ما يفهم الناس . إن الحسن أحياناً يتحرى الشعر ، وقد يعجز الخيال ، وقد يبهز العين كما بهرني ، ولكننا لا نلقي أملامه السلاح أول مرة ، ولا نستسلم خاضعين ، بل نأخذ في إطلاق الشعر حوله رصيناً أو غير رصين ، مبيناً أو غير مبين ، ثم نصيح كما يصيح المحموم ، حتى نخفف من ثورة قلوبنا ، ولا تقتلنا الحب ، ورحنا شهداء النظرات الفاتكة ، والبسات الفاتنة .. الخ .. الخ .

وبطلة القصة « سيدة القصور » عمه الخليفين الفاطميين : الفائز والعاقد ، وهي شخصية قوية ، وعقلية جبارة ، كانت لها السيطرة على البلاط الفاطمي في آخر أيامه ، وبطل القصة الشاعر المعروف عمارة اليميني ، وموضوعها عرض تاريخي للحوادث التي انتهت بزوال الدولة

(١) لقد كتاب من تأليف الاستاذ علي الجارم بك ، دار المعارف القاهرة .

الفاطمية . غير أنني لاحظت أن الأستاذ المؤلف تحرّر كثيراً من قيود الرقة العلمية عند عرض الحوادث ، ولم يرجع للأصول التاريخية المعاصرة لتحقيق الأحداث التاريخية التي اتخذها أساساً لقصته :

١ — فهو قد عرض في قصته لشخصية الواعظ زين الدين بن نجبا ، وجعل هذا الواعظ رجلاً يمينياً اسمه « الحراني » من أسرة يمنية وضيعة ، وصوّره عدوً للمواطن عمارة لثارات كانت بين الأسرتين ، ثم نقل الرجلين الى القاهرة ، وذكر ان الحراني عاش في مصر متنكراً يسمى نفسه « زين الدين بن نجبا » ويشغل بالوعظ ، ويكيد في الخفاء لعمار ، ثم ارتحل به الى الشام ، وعاد به في مؤخرة جيش أسد الدين شيركوه .

والمتفق عليه حقاً بين كتاب القصة التاريخية أنهم يستطيعون التصرف ، بعض الشيء في الحوادث التاريخية ، وخلق شخصيات تكل الصورة الفنية التي يسعون لإحيائها ، ولكنهم مطالبون دائماً بمراعاة الدقة عند عرض الحوادث التاريخية الهامة ، وتصوير أبطال القصة ، ووصف خلقهم وخلقهم وملابسهم وقصورهم وعاداتهم .. الخ ، لذلك يبذل كتاب القصة التاريخية الجهد كل الجهد في مراجعة الكتب المعاصرة لتخرج قصصهم كاملة من هذه الناحية ، أي تصوير العصر الذي يكتبون عنه خير تصوير وأصدق ، فهل فعل الجارم بك هذا عند كتابته « سيدة القصور » ؟ لقد نقلنا للقارئ الكريم ما ذكره عن زين الدين بن نجبا ولكن المراجع المعاصرة تذكر أن ابن نجبا لم يكن اسمه « الحراني » بل اسمه الكامل : « أبو الحسن علي بن ابراهيم بن نجبا بن غنائم الانصاري الملقب زين الدين الحنبلي المعروف بابن نجمة الواعظ » ، ولم تذكر هذه المراجع انه كان يمينياً ، بل تذكر انه شامي ولد في دمشق سنة ٥٠٨ هـ ونشأ بها ، وارتحل الى بغداد مراراً ثم انتقل الى مصر وحدث بها ، وتوفي في مصر في ثامن رمضان سنة ٥٩٩ هـ (انظر ابن خلكان ، الوفيات ج ١ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ وأبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ص ٣٣٩ وج ٢ ص ٢١ ، ٥٧ — ٥٨) .

٢ — الصورة التي رسمها الجارم بك زين الدين بن نجبا صورة كريهة فقد جعله تماماً متراً حقوداً دسائساً .. الخ ، وهذا كله مصدره الخطأ السابق ، في حين أن المراجع المعاصرة كلها تكيل زين الدين المدح وتنعتة النعوت الطيبة .

٣ — ذكر الأستاذ المؤلف أن عمارة وفد على مصر سفيراً من لدن أمير مكة فذهب الى القصر الخليفي ، وألقى بين يدي الخليفة الفائق قصيدته العصماء :

الحمد للعيس بعد العز والهمم حمداً يقوم بما أولين من نعم

ثم استقرَّ في مصر بعد ذلك ، واتصل بالبلط الفاطمي ، والوزراء الفاطميين ، وقال في الجميع المدائح الكثيرة ، ثم لعب دوره المشهور في الحوادث السياسية التي انتهت بزوال الدولة الفاطمية . والذي تذكره المراجع أن عمارة وفد على مصر رسولاً من قبل أمير مكة مرتين : الأولى وهي التي أنشد فيها القصيدة سنة ٥٥٠ هـ ، والثانية في سنة ٥٥١ هـ ، يقول عمارة نفسه في كتاب « النكت العصرية » ص ٣١ — ٣٢ :

« خرجت حاجاً بل حاجاً الى مكة سنة تسع وأربعين وخمسة ، وفي موسم هذه السنة مات أمير الحرمين هاشم بن فليته وولي الحرمين ولده قائم بن هاشم فألزمني السفارة عنه ، والرسالة منه الى الدولة المصرية فقدمتها في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسة مائة والخليفة بها يومئذ الفائز بن الظافر ، والوزير له الملك الصالح طلائع بن رزيك ، فلما أحضرت للسلام عليهما في قاعة الذهب ... أنشدتهما قصيدة » . (ثم يذكر القصيدة السابقة)

ويذكر عمارة بعد ذلك خبر عودته الى وطنه اليمن ، وأنه حجَّ الى مكة ثانية في سنة ٥٥١ هـ الى أن يقول في ص ٤١ — ٤٢ : « وهممت بالرجوع الى اليمن فألزمني أمير الحرمين بالقرسل عنه الى الملك الصالح بسبب جناية جناها خدمه على حاج مصر والشام ... فخرج الأمر من عند الصالح الى الوالي بقوص أن يعوقني بقوص ولا يأذن لي في الرجوع ولا في التقدم الى باب السلطان حتى يرد أمير الحرمين ما أخذ من مال التجار ، وقيل ذلك ما نقل الى الصالح عني أنني طعنت في مذهب الامامية ... ثم أذن لي الصالح في التقدم الى الباب ... »

وبعد هذه السفارة الثانية استقرَّ عمارة في مصر وكان من أمره ما كان...

٤ — قال الأستاذ الجارم بك في قصته ص ١٣٩ : « وبعد يوم استدعى الخليفة العاضد أسد الدين الى القصر وخلع عليه خلع الوزارة ، ولقبه بالمنصور فغضب شاوور لعزله من الوزارة ... الخ » فكأنه بهذا يثبت أن أسد الدين ولي الوزارة للعاضد وشاوور حي ، بينما المراجع المعاصرة كلها تذكر أنه لم يلِ الوزارة إلا بعد قتل شاوور ، يقول أبو شامة مثلاً في الروضتين ج ١ ص ٥١٨ :

« فصل في وزارة أسد الدين ، وذلك عقيب قتل شاوور وتنفيذ رأسه الى القصر ، أنفذ الى أسد الدين خلع الوزارة فلبسها ، وسار ودخل القصر ، وترتب وزيراً ، ولقب بالملك المنصور أمير الجيوش ، وقصد دار الوزارة منزلها ... الخ »

٥ — يقول الأستاذ المؤلف ص ١٢٠ : « وما هي إلا أيام حتى دخل شاوور القاهرة ، وفرَّ رزيك الى اصفه ، وتمكن منه شاوور وقتله ... الخ » ، وصاحب الروضتين

ينقل في ج ١ ص ١٦٥ عن يحيى بن أبي طي — وهو مؤرخ فاطمي — ما يلي : « وجمع — أي شاور — العربان وأهل الصعيد وزحفوا إلى القاهرة ... فخرج رزيك نصف الليل فضل الطريق وتاه عند اطفيح ، وثم بيوت عرب فقبضوا عليه ، وحُمل إلى شاور . ولما حصل رزيك عند شاور أكرمه وصلب الذي أتى به ، ونادى عليه : « هذا جزاء من لا يرعى الجليل » . . . وكان ملهم وأخوه ضرغام من صنائع الصالح بن رزيك ، فلما شاهدوا ميل الناس عن شاور بسبب أولاده أخذوا في مراسلة رزيك بن الصالح وهو في السجن والعمل له في إعادته إلى الوزارة ، واتصل ذلك بطي بن شاور فدخل على أبيه وقال له : أنت غافل وملهم وضرغام يفسدان أمرك ، وقد شرعا في أمر رزيك ، واستحلفا له جماعة من الأمراء ، ولا يمكن تلافي حالك إلا بقتل رزيك » فقال له شاور : « إن الصالح أولاني جيلاً وبسببه حلت هذا المحل » فتركه ولده طي ، ودخل على رزيك فقتله في سجنه ، وسمع شاور ذلك فقامت قيامته .. الخ »

٦ — قال الأستاذ الجارم بك ص ١٢٤ عن المقابلة الأولى بين شاور ونور الدين في الشام : « ودخل شاور فرأى نور الدين جالسا القرفصاء في صدر الخيمة ، وفي يده سبعة تحرك حباتها بحركات لسانه ، وقد جلس إلى يمينه العلماء والفقهاء والمحدثون ... الخ » والذي يذكره صاحب الروضتين ج ١ ص ١٦٥ أن المقابلة تمت في الميدان الأخضر بدمشق ، قال : « وركب نور الدين في الغر من وجوه دولته ... فلما دخل الميدان ركب شاور من الجوسق ، والتقى في وسط الميدان بالتحية فقط ، ولم يترجل أحد منهما لصاحبه ، ثم سارا من موضع اجتماعهما وهو نصف الميدان إلى آخره .. الخ »

وبعد فهذه بعض صور من القصة رأينا الأستاذ المؤلف يبعد فيها عن الحقائق التاريخية بعداً يسبيء إلى هذه الحقائق التاريخية نفسها .. دون مبرر يقتضيه العرض الروائي أو الحكمة القصصية .. ، ترى هل يقرني أعلام القصة التاريخية في مصر على هذا النقد .. ؟ إنني أكون جد مسرور لو تكرم بعض هؤلاء الأعلام وخاصة زعيمهم أستاذي الجليل محمد فريد أبو حديد مناقشة هذا المبدأ .

جمال الدين السبيل

مدرس التاريخ الاسلامي بكلية الاداب
بجامعة فاروق الاول

الحل — Absolution

L. Absolution (n) - ; absolvere = loosen from.

(١) التحرير من الخطيئة بسلطة الكنيسة (٢) العبارات التي يعلن بها التحرير من الخطيئة

في اللاهوت الروماني : أن يعلن صاحب السلطة الكنسية ، على اعتبار أنه يستمد السلطة من السيد المسيح ، تحرير المخطيء من الخطيئة في أثناء تلقي الاسرار المقدسة بقبول التوبة منه ، ولا يعتبر هذا العمل ترديداً لما ورد في الانجيل أو اعلاناً بأن الله لا بد من أن يغفر عمن يتوبون إليه لا غير ، بل أنه ، بحسب التعريف الذي أقره مجمع « ترنت » Trent . عمل شرعي يصدر فيه القسيس ، باعتباره قاضياً ، حكماً على التائب .

في اللاهوت البروتستانتي : اعلان مقدس يحقق للتائب الغفران الالهي تلقاء ندامته وإيمانه .

يعلن القسيس في الكنيسة الرومانية الحل باسمه قائلاً : « إني أحلك » :

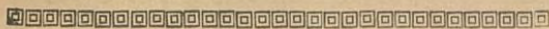
“I absolve thee”.

أما عند الطوائف البروتستانتية التي تتخذ صيغة خاصة للحل ، وكذلك في الكنيسة اليونانية ، فإن الحل يعلن باسم الله وفي صورة صلاة : « ان الله أو المسيح يحلك »

“God (or Christ) absolve thee”.

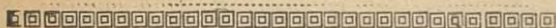
Quot., By absolution (in the Augsburg confession) is meant the official declaration of the clergyman to the penitent that his sins are forgiven him upon finding or believing that he is exercising a godly sorrow, and is trusting in the blood of Christ.

Shedd, Hist. of Christ.



الحياة سر الوجود

او كيف تتخطى الوحدة العربية العقبات



ثلاثة يتسقّطون الحقيقة ، أو سرّ الوجود ، وهم الشاعر والفيلسوف والني . وأولهم أقرب الى ثالثهم منه الى ثانيهم وثانيهم أكثر اعتصاماً بالعقل ، ولذا فهو كالعقل أضيق مجالاً من أخويه . وكلّ من هؤلاء الثلاثة ينشد الحقيقة من باب . فالشاعر ينشدها من باب الخيال ، والفيلسوف من باب العقل ، والني من باب الالهام ، وكاتب هذي السطور يتشرف بالاعتراف انه ليس واحداً منهم ، مع اني مطلع على شأن كلّ منهم ، ومعرفتي كيف بلغ كلّ منهم الموقف الذي يشرفه ، وأعرف ما نشأ عن كلّ منهم ، أو عمّا عزي اليه ، في تاريخ الأسرة البشرية . وقد يكون ذلك موضوع مقالة على حدة .

كان النبي يُدعى ، في فجر التاريخ الاسرائيلي ، « رائيًا » . فيقول قاصده « اني ذاهب الى الراي » . وكلمة « راء » بهذا الاعتبار صفة مبالغة لا اسم فاعل . لانه يعتبر في نسبة الحدث فيها معنى الثبوت . فالراي بهذا المعنى هو من يرى ما لا يراه غيره من سائر الناس . فالفرق كبير بين راء وراء . فالعامة لهم عيون ولا يبصرون . أما الراي فله مع العيون بصيرة ترى ما دقّ عن الابصار .

والشاعر كذلك من صيغ المبالغة كفاضل . والمراد به من يشعر بما لا يشعر به غيره من محاسن هذا الوجود . والفرق كبير بين شاعر وشاعر ، كما بين راء وراء .

والشاعرية أقرب نسباً الى النبوة منها الى الفلسفة . والفلسفة أكثر استناداً منها الى العلم لانها من أعمال العقل ، مبتكر العلم . وهي ترمي الى سرّ الوجود كحقيقة . والشاعرية ترمي اليه كجمال . والنبوة ترمي اليه كجمال وحقيقة . أو كخير . لأن الخير في ما أرى ، هو مجموع الحقيقة والجمال .

والفلسفة كالعلم متصلة بغير المحدود ، ولكنه ليس في متناولها . أما الشاعرية والنبوة فغير مقيدتين بالعقل فهما أكثر حرية من الفلسفة . ومن رام التوسع في ذاك فعليه بكتاب « ايمرسن » وكتاب « النشوء الخالق » لبرغنسن وكتاب « الآلهة » لولتر صكت .

وأريد بالشاعرية هنا شيئاً هو غير نظم القريض . وأكثر الناظمين ليسوا بشعراء . وقد يكون الشاعر غير ناظم . فإذا اجتمع الاثنين قلنا ملتن ودانتي وهو ميروس والمعري . ولا أعرف في عصرنا شاعراً غير رابندرانات تاغور الهندي . أما في أوروبا وأمريكا فلا أعرف شاعراً من هذا الصنف . أما في أنبياء إسرائيل فأعرف ثلاثة شعراء ، وهم داود ودانيال وحزقيال . واليك قطعة من فن ثالثهم . وقد ورد ذلك في الاصحاح السابع والثلاثين من سفر نبوة حزقيال في التوراة ، قال : —

« كانت عليَّ يد الرب ، فأخرجني . . . الى البقعة ، وهي ملائكة عظاما . وأمرني عليها من حولها ، وإذا هي كثيرة جداً ، وإذا هي يابسة . فقال لي (الرب) يا ابن آدم أتحيها هذي العظام ؟ . فقلت يا سيد الرب ، أنت تعلم . فقال لي تنبأ على هذي العظام . وقل لها ، أيتها العظام اليابسة ، اسمعي كلمة الرب . هكذا قال الرب لهذه العظام اليابسة ، هاأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون . وأضع عليكم عصباً . وأكسوكم لحماً . وأبسط عليكم جلدأ . فتعاثون اني أنا الرب . . . »

(يقول النبي) فتنبأت كما أمرت ، وبينما أنا أتنبأ كان صوت ، وإذا عرش . فتقاربت العظام كل عظم الى عظمه (فصارت هياكل عظام) . ونظرت ، وإذا بالعصب كساها . وبسط الجلد عليها . وليس فيها روح . فقال لي الرب : تنبأ يا ابن آدم ، وقل لروح : هلم يا روح من الرياح الأربع . وهب على هؤلاء القتلى فيحيون . فتنبأت كما أمرني . فدخل فيهم الروح . غيوا . وقاموا على أقدامهم ، جيش عظيم جداً جداً .

هذا هو الخيال الشعري الذي أبدعته النبوة . فلنسمع مساقه بقلم النبي ، قال : — ثم قال لي الرب : يا ابن آدم ، هذي العظام هي كل بيت إسرائيل ، ها هم يقولون : يبست عظامنا ، وهلك رجأؤنا . قد انقطعنا . لذلك تنبأ وقل لهم : هكذا قال السيد الرب . هاأنذا أفتح قبوركم ، وأصعدكم من قبوركم يا شعبي ، وآتي بكم الى أرض إسرائيل . فتعاثون اني أنا الرب » انتهت القطعة النبوية . وفيها أتمين مجلى شاعرية ، وشعار قومية ، لا ربية فيها ولم يحلم حزقيال ذلك الحلم إلا وهو مشبع بالقومية . ولم يبدع في تصويره بهذا الخيال إلا وهو فياض بالشاعرية . وهذي القطعة أحد أسس الصهيونية التي قضى علينا سوء الحظ ان نجابهها ، وقد نالنا من جرائها ما نالنا .

أقول : وأراني في موقف حزقيال ، وليس لي نبوة حزقيال ولا شاعريته ، فأقتبس معنى هذي القطعة ، وهي آية فن حزقيال ، لالقاء نور على « مبعث الأمة العربية » ، بعد هجوعها الطويل منذ أواخر العباسيين إلى مستهل القرن العشرين ، وغرضي بهذا المقالة تبين الصورة

التي بها تتغلَّب الأمم العربية على العقبات الكأداء التي تحول دون وحدتها، وهذه المقالة تنمُّ المقالة المنشورة في عدد يناير من المقتطف الأغرّ يصوِّر لنا خيال النبي الشعريّ فعلين عظيمين هما لحمة القومية وسداها. والفعلان هما تقارب العظام والروح. فبالفعل الأول حدث الاتصال والتماسك. السلاميات بالرسغ والزند بالساعد بالترقوة بالقص والاضلاع والسلسلة الفقارية والطرفين السفليين. وعلى أعلى السلسلة الجمجمة. تلا ذلك اللحم والعصب والجلد. هذا هو الفعل الأول. وبالثاني وهو تنمُّ العمل نشوء الحياة في تلك الجثث. ويعبّر عنه النبي هنا بدخول الروح فيها، جرياً على المتعارف عندهم في تلك العصور.

يتمّ هذان الفعلان في كل أمة هاجعة، إذا شاء ربك ان تحيا. ذلك ما حصل في اليونان منذ سنة ١٧٥٠ وفي ايطاليا منذ سنة ١٨٥٩. وذلك ما تتوقع آتامه في الأمة العربية، وهي عندي أعصى على المبعث القومي في تينك الأمتين، الجارتين، وذلك لاسباب ذكرت بعضها في المقالة الماضية. ولكن إذا كان قد قضى لهذه الأمة العريضة ان تبعث بعد ان قضت « فالحياة » هي السرّ في تغلبها على العقبات الكأداء.

لنا في الطبيعة روابط راهنة، أولها رابط الوحدات الكهربائية، الذي يجمع الذرات أو يقرنها فتتصور في شكل ندعوه « ذرة » أو « جوهر فرد » « Atom ». ثم هنالك رابط آخر يجمع تلك الذرات، أو الجواهر الفردة، في ما ندعوه « دقيقة » « Particle ». فالذرة مؤلفة من الكترون وبروتون ونوترون وبوزترون. والدقيقة مؤلفة من ذرات. فتتقسم الخلايا العضوية إلى دقائق ميكانيكيًا. اما الذرة فلا تنقسم إلى جواهر فردة بالطريقة الميكانيكية، بل بالتحليل الكيماوي. اما الذرة فلا تنقسم ميكانيكيًا، ولا تتحلل كيماوياً ولكنها تنفلق كهربائياً وهنالك رابط آخر عام اكتشفه العلامة اسحق نيوتن، وصحّحه أو فسّره البرت اينشتاين، وهو ما ندعوه الجاذبية العامة، الذي به تتناسب وتتنظم الأجرام السماوية وهي ما ندعوه « كوناً » أو Universe.

أقول: ان درس الكون بما فيه من الروابط الأربعة، الكهربائي والملاصقة والالتصاق والجاذبية العامة، هذا الدرس يبقى ناقصاً، اذا نحن صرفنا النظر عن رابط آخر عظيم، يجمع دقائق منوعة، في شكل عضوي، وندعو ذلك الرابط « الحياة » فالنبات والحيوان أجسام عضوية ترابطت خلاياها برابط الحياة، وهي سرّ لا ندركه، اكنا نشاهد آثاره في الهضم أو التمثيل والدوران والنمو والتطور الخ وأرى ذلك الناموس السامي فاعلاً في الأمم فعلة في العضويات لأن الأمم مجموعات مؤلفة

من عضويات كما أوضح ذلك هربرت سبنسر في فلسفته التركيبية . فأبان أن الناموس الفاعل في الأحياء هو الناموس الفاعل في الاجتماع أو الهيئة الاجتماعية .

ما هي الحياة ؟ . لا أدري

ما هي الكهربائية ؟ . لا أدري

ما هي الجاذبية ؟ . لا أدري

فلم يُتَسَحَ لنا ادراك الماهيات . لكنني أعلم ان الحياة والكهربائية والجاذبية ، تجمع .
والأمم مجموعات كواثر حية ، كالأجسام المعدنية والفلكية والعضوية .

أجل انك تقول لي ان الأمم العربية شذرات متفرقة هنا وهناك . متقاطعة متباعدة متخاذلة ، ولكن هل هي أكثر تباعداً من « العظام في البقعة » التي مرَّ بك وصفها في آية فن حزقيال ؟ وقد رأيت كيف تلاءمت تلك العظام اليابسة وترابطت وعادت الى الحياة . وهل الأمم العربية أكثر تباعداً من استراليا وكندا وجنوبي افريقية وبريطانيا ؟ لالعمري . مع ذلك انظر كيف ترابطت تلك الاقسام فتألف منها الامبراطورية الانكليزية ؟ فاذا دبت الحياة في أقسام العالم العربي ، فلا تحول الأبعاد دون تماسكه . أقول ، وأعلم أنني عن عقل أقول ، اذا توافرت عوامل بعث الأمة العربية بقوة العظم الجبار ، زالت العقبة الأولى التي هي عقبة جغرافية .

كذلك العقبة الثانية وهي « الفقر » أعرف واعترف انا أفقر امم الدنيا . أفقر من بريطانيا ، ومن فرنسا ، ومن ايطاليا ، ومن روسيا ، بل نحن أفقر أمة على وجه الغبراء . ولكن هل نحن أفقر من الوليد ، الذي تضعه الوالدة بدون كسوة ولا حول . ولكن ، والحكيم يرمق و « لكن » بعين الشاعر . أقول ولكن كل مثر في الدنيا هو ذلك الوليد الذي كان بلا حول ولا طول ولا شأؤ . ولكن الحياة ضامن بقائه وثرائه ونمائه وهنائه . نعم نعم . ان الأمم العربية اليوم بدون أساطيل ، ولا طائرات ، ولا ذخائر ، ولا ثراء ، ولا مستعمرات ، لكنها ليست أفقر من الوليد . فالحياة التي ضمنت ثراء الوليد تضمن ثراء الامم العربية وقوتها . لا أقدر ان أصف شكلها السياسي ، هل تكون امبراطورية ، أو دولاً مترابطة أو ولايات متحدة . وانما أعلم أن كل من سار على الدرب وصل . والامم العربية الآن على الدرب ، فستصل .

ها ألوف من أبنائها وبناتها في دور التخصص ، في اوربا وأمريكا . وها عشرات الألوف يعملون في التشريع والاجراء وبناء الجسور الاجتماعية التي ندعوها « الدولة » أو « الدول » وملايين يتطلعون الى تحقيق أحلام الرائيين أقدمين ومحدثين في عودة الامم العربية الى

الحياة والاستقلال ، سياسياً واقتصادياً . ومطالع ذلك العصر السعيد تلوح في آفاق الشرق كأنوار الغزالة وهي لا تزال تحت الأفق . يتزايد نورها شيئاً فشيئاً الى أن يتكامل اشراقها وارتفاعها الى سمت الراي .

ان أم أوروبا تسيطر علينا سيطرة الوالدين على الوليد . ولكن ذلك الوليد الحقيير بعد نصف قرن يرث ما كان لوالديه من حول وطول . وما أدراك إنا سنرث أم الغرب بعد مرور عقود السنين ؟ . لقد كانت تلك الامم في عهد الطفولة . وكنا في طور الرشاد الاجتماعي ، فكنا لها آباء ومرشدين . فتقدمت وتقهقرنا ، وسبقتنا بعد ما أخذت عنا أسس مفآخرها ، ولكن التاريخ يعيد نفسه . من كان يظن أن دول بابل وأشور والفرس تدول . وان لندن وباريس ووشنطن وموسكو ستسود الدنيا ؟ ولكن الأمر يظل عجيباً حتى يحدث . فتبي ألقته الانظار فصار عادياً ، لا يستغرب كالراديو والطائرات .

ان هذا القديم كان حديثاً وسيبقى هذا الحديث قديماً
ذكرت عقبة كأداء في سبيل الوحدة العربية ، وهي « اختلاف المقاييس » . ولكن توحيد الثقافة يتغلب عليها . العلم يجمع الأفكار ويوحد العقيدة . فالناس على اختلاف صفاتهم يتوحدون فكراً في العلم . فلا خلاف بينهم في أن اثنين واثنتين أربعة . وان زوايا المثلث في سطح مستقيم تعدل قائمتين ، وان النور والحرارة تقل كربع البعد . وان الاجسام العضوية هي خلايا مترابطة متبادلة التعاون والنفع ، والعلماء في كل أمة متفاهمون متوافقون . وكذلك الأدباء في كل عصر وفي كل مصر . فوحدة الثقافة محلي من مجالي الحياة . وبها تتوحد المقاييس .

أقول ان الانسانية في أعماقها وذراها واجدة . والفروقات والتقسيمات بينها انما هي بين هذين الطرفين . فاذا تعمقنا في أغوار الانسانية وجدنا أن أحوالها وحاجاتها واحدة . وكذلك اذا ارتقت الافكار علماً وثقافة كانت واحدة . فالجهل — وهو الموت عقلياً — يمزقها شراً ممزق . ولكن العلم والعرفان يوحد فكرها . وباستمرار أبناء العربية في طلاب العلم والثقافة يتقاربون ويتفاهمون فتتوحد المقاييس . ويصير كل فريق منهم يرى الأحمر أحمر والأزرق أزرق والأصفر أصفر . للعلماء عيون والعلماء عين واحدة . وللعامة مذاهب وللعامة مذهب واحد . ولموتى تمام الانفصال وعدم التفاهم . أما الأحياء فيتفاهمون ويتحدون واذا كانت الحياة سر الوجود . فالإيمان سر الحياة ، لا أريد بالإيمان هنا الإيمان المذهبي ، بل الإيمان الكوني . الإيمان الكوني هو الاستمساك بالنواميس الطبيعية وبسيادة العقل على المادة ، أو تصرف الحياة بالمادة .

قال حزقيال : — وبينما أنا أتنبأ كان صوت واذا رخش ، وتقاربت العظام : ذلك ما أرى وما أسمع . است شاعراً ولكني أسمع بأذن الشاعر . ولست نبيّاً ولكني أرى بعين النبي . ولا أنا فيلسوف ، ولكني أفهم بعقل الفيلسوف ، أسمع الأصوات تتجاوب أصدائها في أصقاع العربية ، وأرى حركات تقارب بين تلك العظام اليابسة ، التي كانت تدوسها أقدام غير مغسولة . وها هي ذي أخبارها . تحملها صحف الأنباء فيما أنا أكتب . واليك ما يأتي :

ابتهاج سورية بالحلف العربي

ردّ الملك ابن السعود والملك يحيى على تهاني البرلمان السوري

بيروت في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٧

تلقى رئيس مجلس النواب السوري من سكرتير جلالة الملك عبد العزيز آل سعود برقية هذا نصها : — لقد رفعت لجلالة مولاي الملك برقية معاليكم المعربة عن تهنئة المجلس النيابي السوري وابتهاجه بابرار معاهدة الحلف بين اليمن والعراق والمملكة السعودية . وقد أمرني جلالتك أن أقدم لمعاليكم شكر جلالتك للعاطفة العربية السامية التي أعرب عنها مجلس سورية العربي النيابي .

« ان هذا المظهر العربي الكريم في سورية ليس بالشيء العجيب ، ولا بالجديد ، بل هو معروف انه في قرارة كل نفس في سورية العربية . وإن جلالتك ليرجو منكم ، ثم يرجو من المجلس ، دوام هذا التآخي العربي ، وتوثيقه ، وشموله سائر الاقطار العربية لاعادة مجدها وحفظ كيانه . »

والبيب في غنى عما قد يتبرّع به المؤرخ من الشروح الضافية لهذا الحادث ، وما يراه ثاقب النظر بين سطور هذي البرقية ، أخض بها العبارة التالية « دوام هذا التآخي وتوثيقه ، وشموله سائر الاقطار العربية » . فهذه البرقية ترجمة ما يختلج في صدر كل عربي دبّت فيه الحياة القومية . واليك البرقية التالية :

وتلقى رئيس المجلس برقية أخرى من جلالة الامام يحيى امام اليمن هذا نصها : — « لي فخر عظيم بأن أبلغكم بأنه لدى تقديم تلغرافكم الى حضرة أمير المؤمنين جلالة ملكي العظيم أظهر احساساته الشكرانية ودعوته الخيرية لسلامة وتعالى الشعوب العربية في ظل الاتحاد ، وتوحيد السكامة . ويتمنى جلالتك تبليغ شكرانه الى جميع رفاقكم المحترمين »
لأبناء عدنان وقحطان سطر لامع في تاريخ هذا السيار . وأرى في عقد المعاهدات بين العراق واليمن ونجد بارقة أمل في استعادة عصر أمجادها . وأرجو القارئ الكريم ألا

يفعل ما بين تلك الأقطار من الفوارق المذهبية . فالعراق فيه أقلية مسيحية ، وأكثريته إسلامية منقسمة سنية وشيعية . وتغلب في مملكة ابن السعود الوهابية ، وفي اليمن الزيدية . فاتحاد كل هذه الأمم في الحلف العربي . مع ما بينها من الفوارق ليس عملاً صليانياً . وبالخري ليس هو من فعال الموتى . وإذا لم يكن نتيجة حياة فهو مقدمة حياة . وفي الحياة القومية حل مشاكل الوجود .

وهناك ظاهرة حياة ثانية . وهي ما تحلى من شعور العراق ومصر وسورية نحو فلسطين : فقد وقف كلٌّ من نائبي الأوليين في جمعية الأمم في جنيف موقف الدفع عن حقوق العرب في فلسطين . وأرسلت سورية مندوباً خاصاً الى أوروبا للدفاع عن تلك الحقوق ، والسعي لدى أمم أوروبا في إنالة العرب حقوقهم تلقاء الاستعمار الصهيوني . فهذا الموقف يفصح عن وحدة الروح بين أمم العين والضاد ، رغم ما بينها من الفوارق والتباين واختلاف المقاييس . وإذا ذكرت في مصر أمرين كبيرين تبينت معنى ذلك الموقف . الأول : ان مصر حليفة انكرا التي عليها ينصب اليوم في مسألة فلسطين . والثاني : ان نائب مصر في جمعية الأمم مسيحي . وقد تكلم من اقتناع وروح وميل قلبه ، مع إعرابه عن سياسة مصر العربية ، وهو وزير خارجيتها . فالأمر واضح ان الوحدة العربية وان لم تتم بعد فهي في طريق التكمال . ووحدة الميول قبل الشكل السياسي . واذ نكتب في الموضوع فلسنا نضارب الهواء ، أو اننا نعرف بما لا نعرف ، إنما نثبت في صفحات حقائق راهنة ، وهي تراثنا لأحفادنا الذين نودعهم أمر الوحدة العربية .

لست أجهل ما يحول دون الوحدة العربية من العقبات . وما في مجموعاتها من المشاغبات ولكن هل هي ميتة ؟ لا ورب الكعبة ، ولا هاجمة . بل هي حية مستيقظة ساعية إلى تمام وحدتها . وما نراها في مجموعاتها من التقسيم والمشاغبات ، إن هو إلا من ظاهرات الطفولة . ولكن الطفل لا يظل طفلاً إلى الأبد . بل إذا صان الله حياته ، ينمو ويبلغ رشاده . ذلك ما نرجوه للأمم العربية . فالأزمات السياسية والمشاكل الحزبية لا تنفي حياة الأمة ، بل هي دليل حياتها . والأفهل سمعت شغباً وضوضاء بين ساكني القبور ؟ لا وأبيك . فالمنازعات والصيحات ان دلّت على شيء مضاف إلى الحياة ، فهي دليل الطفولة أو الصبوة الاجتماعية . بقي ان هنالك ظاهرة حياة في الحركة الصناعية في الأقطار العربية . والعمل ثمرة الحياة ودليل على وجودها . وقد يكون شرح النهضة الصناعية في البلدان العربية موضوع مقالة على حدة . فاكثفي بالإشارة إليه الآن

ودليل آخر قاطع ، على يقظة الأمم العربية موقف أبنائها في أقسام المبحر وفي كل أقسام

الدنيا ، ولا سيما في قارتي أمريكا . فشعور أولئك المهاجرين مع وطنهم الأصلي ، وأمتهم العربية وما لهم في خدمتها من الهمة القعساء ، واليد البيضاء ، دليل على وجود حياة قومية متقدمة . يزداد هذا الدليل قوة اذا ذكرت ان أ كثرية أولئك المهاجرين مسيحيون . وأ كثرهم ليس لهم أي مطمع في منصب أو رفعة في ما لو نالت الأمم العربية مطالبها السامي . اذا اعتبرت ذلك . . ولا أراك إلاّ معتبراً ، وضح لك وضوح الصبح لذئ عيين أن الحياة الجديدة في بني قحطان ليست حديث خرافة ، إنما هي أمر واقع لامراء فيه .

والأمم العربية اليوم في موقف انتظار الزعيم الأكبر ، أو الزعماء لقيادتها الى غايتها المقصودة وضالتها المنشودة . فتتوحد صفوفها وتنظم شؤونها . لا أنكر انه قد نشأ فينا زعماء يستحقون الاحترام أذكر منهم ثلاثة ، وهم سعد زغول ، والملك فيصل ، والملك عبد العزيز آل السعود . على أن زعامة كل منهم لم تتجاوز قطر خاص من الاقطار العربية . الا ان المرحوم الملك فيصل كان أكثر رغبة في خدمة مجموع الأمم العربية لا قطر خاص من أقطارها . يعزّز يقظة الأمم العربية تدرج ابنائها في معارج التخصص العالمي . في معاهد اوربا وأمريكا . وأيضاً حرية المرأة الذي بزعت شمس في مصر وسورية والعراق ونزولها الى ميدان الجهاد جنباً الى جنب مع الرجل .

ومن مؤيدات اليقظة العربية تقهقر التعصب وتضاؤل . وبقياس ذلك التضاؤل يكون تقدّم الحياة الاجتماعية . والخلاصة ان العقبات الكأداء في سبيل الوحدة العربية ليست دليل موتها ، إنما هي باعش على مضاعفة الجهود وزيادة الهمة في السعي لادراك المنى ومستغلب الحياة على العقبات باذن الله . والزمان كفيل بتحقيق الآمال

هذا هــ

من أدب الغرب

لهراية الطفل

CHILD GUIDANCE. By W. Mary Burbury, Edna M. Bliant,
Birdget J. Yapp. Macmillan. 7s. 6 d.

كتاب مفهوم العبارة مستقيم الطريقة يتناول بالبحث أسلوباً حديثاً في معالجة الشواذ من الاطفال وقد تناول بالشرح المستفيض نظام العيادات الطبية الحديثة التي أسست لفحص الشواذ من الاطفال وكيف نشأت ، كما أفاض مؤلفاته في الاسباب خاصة وحامة ، التي تسبب الشذوذ ، وشرح معالم الطرق التي تتخذ في علاج الطفل ليعود الى حالته السوية ، وتناول في فصل ممتع المؤثرات الاجتماعية والمساالك المحتملة التي قد يكون لها أثر حاسم في علاج الشذوذ . والكتاب في مجموعه وبما حوى من بحوث ، وما تأنس فيه من نزعة انسانية سامية ، جدير بأن يكون في يد كل من بهم بمسائل التربية وتنشئة الطفل ، وأن يكون موضع درسه العميق .

الفاروق عمر

للدكتور محمد باشا هيكل^(١)

نقدنا في عدد أغسطس الماضي كتاب « الصديق أبو بكر » وأخذنا على سعادة مؤلفه صليبه في قصة « مقتل مالك بن نويرة » . ثم رأينا أن ننقد كتابه الجديد « الفاروق عمر » ونتعجب بعض ما فيه من مآخذ ، فكتبنا هذا البحث ، ونشرنا بعضه في مجلة « الكتاب » الفراء . في عددها الأول الذي صدر في أول نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، ورأينا أن ننشر بقيته في مجلة « المتتطف » الفراء ، استيفاء للبحث ، وأداء لواجب الامانة ، وإخلاصاً في النصيحة للعلم والقراء .

مآخذ واستدراكات

١ — زعم المؤلف في مقدمة كتابه « ج ١ ص ٨) أن عمر « رأى إعفاء من أسلم من أهل البلاد المفتوحة من الجزية ومساواتهم بالمساكين الفاتحين ، فكان ذلك مغرباً لكثير منهم بالدخول في الاسلام ... وقد أعفاهم عمر وسأواهم بالفاتحين وهو يعلم ما صيرت على ذلك من نقص في موارد المدينة ، ومن رد الحكم في هذه البلاد الى أهلها . مع ذلك لم يتردد في الأمر ولم تثنه هذه الاعتبارات عنه » الى آخر ما قال .

وهذا الذي حكاه عن عمر هو حكم الاسلام في القرآن والحديث نصاً ، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة ، ورسول الله يقول : « ليس على مسلم جزية » رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث ابن عباس . انظر تفسير القرطبي (ج ٨ ص ١١٤) ونيل الأوطار للشوكاني (ج ٨ ص ٢١٩) والذي نشكره على المؤلف أن يجعل هذا من عمل عمر ورأيه وسياسته ، كأنه حكم عن اجتهاد منه . وهو حكم بديهي منصوص ، وكان عمر فيه متبعاً لا مجتهداً .

٢ - وقد أنكر المؤلف على المؤرخين المتقدمين أنه بلغ من إكبارهم لسيرة عمر « أن أضافوا إليه أموراً أدنى إلى المعجزات التي خص بها الأنبياء ، وأن ذكروا ما لا يستطيع المؤرخ الناقد إثباته . وعمر في غير حاجة إلى شيء من ذلك يضاف إلى سيرته . فقام هو به وما تم في عهده ، مما يقره النقد التاريخي ، يقيم له في صحف التاريخ صرحاً عالياً باقياً إلى الأبد . ولو أن المؤرخين الأقدمين لم يضيفوا هذه الخوارق إلى سيرة عمر لأنغوا من جاء بعدهم عن بذل الجهد في تمحيصها ، ولجنسبوه الاختلاف على مبلغ صحتها ، ولما طُفِّف ذلك من قدر عمر ، ولا نقص من جلال صنعه . وقد رأيت من الخير أن أغفل من هذه الحوادث ما لا يقره العقل ولا يثبت للنقد . ثم رأيتني بعد ذلك مضطراً إلى أن أثبت حوادث يتصور العقل في شيء من العسر وقوعها ، ومع هذا تضافر المؤرخون على روايتها تضافر تواتر يدعو إلى النزول على حكمهم فيها » ، (ج ١ ص ٩) .

هكذا يقول سعادة المؤلف . ونحن نعلم أنه ينكر كل المعجزات الكونية التي رواها المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في إلحاح وإصرار ، لأنه « يجري في البحث على الطريقة العلمية الحديثة ، ويكتبه بأسلوب هذا العصر » كما قال في كتابه « حياة محمد » ص ٤٧ وإن كان لم يستطع إنكار معجزات الأنبياء السابقين ، لأنها مذكورة في القرآن ، كما قال في ذلك الكتاب ص ٥٤ فهو أجدر إذن أن ينكر الكرامات والخوارق التي تنسب إلى عمر وإلى غير عمر ، لأنها مما « لا يقره العقل ولا يثبت للنقد » ! ولأسنا نجادله في هذا ، فما في الجدل فائدة ، وما أيسر الانكار وادعاء الكذب والوضع على رواة السنة والأخبار ، أيًا كان مبلغهم من الثقة والأمانة والصدق والضبط والتحري . وما أحكم الكلمة التي قلناها له بمباحة شيخ الإسلام مصطفى أفندي صبري في كتابه الجليل « القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون » قال في ص ٤٣ : « الطريقة العلمية التي يتبعها معالي المؤلف وبياهي باتباعها في تحرير كتابه ، والتي يدعي أنه بنى عليها إنكار المعجزات ، هي الطريقة نفسها التي يدعي ملاحدة الغرب أنهم بنوا عليها إنكارهم لوجود الله » .

ولكننا نجد المؤلف أثبت حادثة « ياسارية الجبل » وسند كرها في موضعها من هذا المقال (رقم ١٨) وما كانت رواية هذا الحادث بأصح ولا بأوثق من غيره مما أنكر ، ولا بأصح ولا بأوثق مما تواتر تواتراً علمياً صحيحاً من معجزات رسول الله . ومن عجب أن يدعي المؤلف أن حادثة سارية من الحوادث التي « تضافر المؤرخون على روايتها تضافر تواتر » ! وأظن أن سعادته لم يطلع على شيء مما قاله المحدثون والأصوليون في معنى التواتر

ودلالته العامة ، والفرق بينه وبين غيره من طرق النقل عند العلماء ! ولو اطلع على ذلك لقال شيئاً غير هذا .

٣ - وذكر المؤلف (ج ١ ص ٣٥) أن عمر « لما استخلف كان أول دعائه قوله : اللهم إني غليظ فليسي ، اللهم إني ضعيف فتوني ، اللهم إني بخيل فسخني » . ثم قال : « أما ما ذكر عن بخله فسببه أنه لم يكن غنياً ، وأن أباه لم يكن غنياً » . إلى آخر كلامه . وما كانت به حاجة إلى هذا التكلف ، فإن هذا الدعاء لا يدل على أن عمر كان بخيلاً ، وما زعم ذلك له أحد قط ، وما كان الفقر سبباً للبخل أبداً ، وإنما البخل داءٌ نفسي قد يزيده الغنى تمكناً . والمؤلف يستنبط أن عمر كان « متوسط الحال في الغنى طول حياته » ، وأكثر ما يكون الكرم في المتوسطين والفقراء . ويعيد الله عمر من داء البخل ، ورسول الله يقول : « أي داء أدوى من البخل » ، وإنما كان مثل هذا الدعاء أن يظن الرجل الصالح بنفسه التقصير عن درجة الكمال ، حتى يسمى عمله باسم درجة النقص ، رغبة إلى ربه وتواضعاً ، فيسأله أن يتمم من خلقه ما يظنه نقصاً . ولذلك لم يزعم أحد قط ، ولم يستطع المؤلف أن يزعم ، أن عمر كان ضعيفاً إذ يقول « اللهم إني ضعيف فتوني » بل قال : (١ : ٣٣) « ولما تدرج عمر من الصبا إلى الشباب بدا في مظهر من القوة بد به أقرانه » . ثم النقل الصحيح ثابت بأنه كان جواداً ، فقد روى ابن سعد في الطبقات (ج ٣ ق ١ ص ٢١٠) عن عبد الله بن عمر قال : « ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض كان أجداً ولا أجود حتى انتهى من عمر » فهذا وغيره من أخباره وحوادثه لا يدع شكاً في أنه كان من أكرم الكرماء .

٤ - في (ج ١ ص ٣٦) : « ثم إن المبشرين بالمسيحية في ذلك العصر كانوا ذوي نشاط في الدعوة إلى دينهم والتبشير به مثل نشاطهم اليوم » . وهذه دعوى عريضة ، لا تسكاد بتجدد دليل عليها . فما رأينا - على كثرة ما رأينا - في النصوص التاريخية الصحيحة أن قد كان المبشرين نشاط في مكة وما حولها حيث نشأ عمر ، كمثل نشاطهم اليوم ولا ما يقر به ، إلا أن يكون من أمثال آراء الأب لويس شيخو في كتاب « النصرانية وآدابها » : ومقاصد هذا الكتاب معروفة ، وما من أحد من أهل العلم والتوثيق يرضى عن آرائه وتحقيقاته !

٥ - (ج ١ ص ٣٩ س ١٥) « طلحة بن عبد الله » خطأ مطبعي ، صوابه « طلحة بن عبيد الله » .

٦ - (ج ١ ص ٨٠ - ٨٣) تصافت المؤلف في كلامه فيما كان بين عمر وخلد بن الوليد

وفي شأن مقتل مالك بن نويرة في حروب الردّة ، بمنل ما صنع في كتابه « الصديق أبو بكر » . وقد حققنا القول في ذلك في بحث مستوفى نشر في عدد شهر أغسطس سنة ١٩٤٥ من مجلة المقتطف ، ورجحنا فيه بالأدلة التاريخية الصحيحة أن خالداً أمر بقتل مالك بن نويرة لأصراره على الردّة بمنع الزكاة ، وأخذ امرأته وابنتها سبياً ، وأن ليس في شيء من ذلك ما يلام عليه خالد ، لموافقته أحكام الشريعة ، وأن عمر إنما مضط على خالد أن لم يتبين وجه حجته ، وأن أبا بكر تبين معذرة خالد فبرأه ، وكان إذ ذاك ولي الأمر الذي يملك فصل القضاء فيه ، وقد قضى بالبراءة ، فلا يملك أحد بعده أن يشك في قضائه أو يعيد النظر فيه ، لا أحد ولا عمر نفسه . حتى إن متمم بن نويرة جاءه في خلافته يستعديه على خالد ، لما كان يعرف من رأيه في هذه المسألة نفسها . فقال له : « لا أردّ شيئاً صنعته أبو بكر » فقال متمم : « قد كنت تزعم أن لو كنت مكان أبي بكر أقدمته به » ؟ فأجابته عمر الجواب الحازم الحاسم : لو كنت ذلك اليوم ممكناً لفعلت ، ولكني لا أردّ شيئاً أمضاه أبو بكر . وقد قلنا في ذاك المقال : « وما نظن عمر يفعل ما كان يريد لو كان خليفة ذلك اليوم . إنما هو يبين عن رأيه في أمر قد نظر إليه من جانب واحد ، هو جانب الاتهام . ولعله لو قد سمع الطرف الآخر ، طرف الدفاع ، ونظر إلى الأمر من الجانبين كما نظر إليه أبو بكر ، لانتهى إلى ما انتهى إليه حكم أبي بكر . وفي مثل هذا تختلف أقطار القضاة ويختلف اجتهد المجتهدين ، في وزن الأدلة ، وتقدير البراهين ، فلن تكون كلمة عمر وحدها حجة على خالد ، تثبت عليه إجراماً لم يثبت عند الحاكم ، وقد برأه الحاكم بما نسب إليه ، ولن تكون كلمة عمر وحدها حجة على أبي بكر ، حتى يُتهم بالتهاون في شأن جرم يوجب الحد أو القصاص ، وبأنه كان يترتب في تطبيق التشريع على العامة والدماء ، ولا يترتب في تطبيقه على النوايا والعطاء ! ! كفعل ساسة هذا العصر ! » .

فلم يكن فعل خالد أنه تزوّج امرأة مالك بن نويرة بعد قتله زوجها وأنه بنى بها في عدتها ، كما يصوره المؤلف هنا وهناك ، تمسكاً بظواهر ألفاظ في بعض الروايات من غير رجوع إلى باقيةها ، وما كان خالد لياتي هذا المنكر الذي لا شك في حرمة ، والذي استحلّاه خروج من الإسلام ، وما كان لأحد من عامة المسلمين أن يقره عليه ، فضلاً عن أصحاب رسول الله ، فضلاً عن أبي بكر .

وقد حكى المؤلف هنا (ص ٨٢) رواية عن بعض المؤرخين « أن عمر كان يسيء الرأي في خالد من قبل إسلامه ، وكان سيء الرأي فيه حياته » ثم علل ذلك تعليلاً عجيباً ! قال : « ولعلّ عمر لم ينس لخالد غزوة أحد وموقفه منها ، وانتصار المشركين على المسلمين بمهارته »

فيها ، ثم مهاجته رسول الله لولا أن وقف عمر في وجهه وصدّه عن غرضه « !! وما ظننت قط أن أحداً يقول مثل هذا القول ، فإن البديهي من قواعد الإسلام أن الإسلام يجب ما قبله ، وكل أصحاب رسول الله كانوا مشركين قبل أن يسلموا ، إلا القليل الذين كانوا صغاراً ونشؤوا على الإسلام ، وكثير من الكبار حاربوا رسول الله قبل أن يسلموا ، وكثير منهم كانوا أعداءه ، ثم تابوا وآمنوا فتاب الله عليهم ، لم يحقد من آمن منهم من قبل على من آمن منهم من بعد ، وكانوا إخواناً متناصرين ، لا أعداء متحاقدين . ولو كان لأحد أن يحقد على خالد ما زعمه المؤلف ، لكان أولى الناس أن يحقد عليه ذلك رسول الله ثم أبو بكر ، وينزه الله رسوله وأبا بكر وعمر من ذلك . وهذه مداخل ودنوا لو يحسن المؤلف الخروج منها أو يحجم عن ولوجها .

٧ - (ج ١ ص ٨٧) يروي المؤلف أن عمر « كان يذهب في تجارته الى العراق والى الشام واليمن فكان أشد حرصاً على مقابلة الأمراء والحكماء من أهل هذه البلاد ليزداد بالتحدث اليهم علماً منه على أن زداده تجارته ربحاً فيصبح من الأغنياء » . وما أدري أين وجد المؤلف أن عمر « كان أشد حرصاً على مقابلة الأمراء والحكماء منهم ليزداد بالتحدث اليهم علماً » ؟ ! إني لأخشى أن يكون هذا خيالاً يصور به مصدر علم عمر وحكمته ، زعماً بأن العرب لم يكن فيهم حكمة إلا ما أخذوا عن غيرهم ! وعمر كان قوي الفطرة العربية ثم أوتي العلم في الإسلام من الكتاب والسنة وتأسى به رسول الله ثم بأبي بكر .

٨ - (ج ١ ص ٩١ - ٩٣) صور المؤلف موقف عمر أول وقت من خلافته بعد أن دفن أبو بكر وانطلق الى داره بعد ما انتصف الليل : « ودخل مضجعه وجعل يفكر فيما يتنفس عنه الغد ، فسيبائه المساهون من بكرة النهار ليتولى أمورهم ، فيواجه منهم من رضي استخلافه كارهاً ، ثم يواجه الموقف الحربي الجليل الدقيق في العراق وفي الشام ، فإذا عسى أن يفعل ليتغلب على هذين الأمرين ، وهما بأعظم مكان من جلال الخطر في حياة الدولة الناشئة » ثم كتب صفحة ونصف صفحة عما كان يجول في خاطر عمر تلك الليلة !! وما أظن - وأنا رجل من المتحفظين في الرواية والنقل - أن مثل هذا العمل مما يجوز له ورخ ، وما يبعد أن يأتي من بعده من ينقله عنه ، ظناً أن هذا قد كان ، رواه الدكتور محمد باعنا هيكل !! بل إني أومن أن هذا لا يجوز . ولقد كتبت بهامش نسختي من كتابه في هذا الموضع : « للمؤلف خيال قوي على الطريقة الأوروبية ، فالمنظرون الراجح في مثل هذا الموقف أن يفكر عمر فيما هو مقدم عليه . ولكن سياق الكلام الموهم أن هذا

حصل فعلاً يستدعي أن يكون هناك نقل صحيح بذلك ، أو يكون زياداً وافتعلاً .
وسأدع للقارئ بعد أن يحكم فيه بما يرى .

٩ - (ج ١ ص ٩١ في الحاشية) نقل المؤلف رواية عن ابن سعد أن عمر خطب في الناس خطبة بعد دفن أبي بكر . ثم ردَّ هذه الرواية بأن أبا بكر دفن بعد ما جنَّ الليل ، وأنه ليس طبيعياً أن يخطب عمر في القوم الذين تولوا الدفن « ثم إن أكثر الناس كانوا قد أوتوا إلى منازلهم ، فلم يكن منهم بالمسجد في هذه الساعة إلا قليلون هم أهل الصفة ، لأن المسجد لم يكن يضاء في ذلك العهد » . وهذا لون من التحقيق العلمي ! لا عهد لنا به . فإن الجزم بأنه لم يكن في المسجد في تلك الساعة إلا أهل الصفة لا يكون إلا عن نقل صحيح ، لأنه شيء مادي لا يدرك بالعقل وحده ، ويستحيل عادة أن يدرك بالتعليل بأن المسجد لم يكن يضاء في ذلك العهد ! والناصب في السنة والتاريخ أنهم كانوا يسهرون ويسمرون في المسجد ، وكانوا يصلون الفجر بغسل ، يعني في الظلام . والظن في مثل هذه الحال ، حال موت أبي بكر ودفعه ، أن يحضرها كثير من الصحابة . إن لم يكونوا داخل بيت عائشة ، ففي المسجد خارج البيت . والخطبة التي روى ابن سعد (ج ٣ ق ١ ص ١٩٧) والتي يشير إليها المؤلف ، كلمة قصيرة لا تزيد على أربعة أسطر ، فليست مما يستبعد قوله في مثل هذا المقام ، وما من دليل ينفى ، إلا أن في إسنادهما جهالة ، لقول راويها حميد بن هلال : « حدثنا من شهد وفاة أبي بكر » وهذا إسناد منقطع يراه المحدثون ضعيفاً . وما عمدنا بنقدها إلى الجزم بصحة تلك الخطبة ، وإنما أردنا أن نضع بين يدي القارئ مثلاً من أمثلة تحقيق المؤلف ورده من الروايات « ما لا يقره العقل ولا يثبت للنقد » !

١٠ - (ج ١ ص ٩١ في الحاشية أيضاً) عبر المؤلف عن « بيت عائشة » بكلمة « دار عائشة » وهو خطأ ، فإن الدار أكبر من ذلك ، هو اسم جامع للعروة والبناء والحلجة ، ولم تكن بيوت أزواج رسول الله تُسمى دوراً ، وإنما كانوا يسمونها بيوتاً .

١١ - (ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٣) تحدث المؤلف عما دار من جدال وحديث بين الوفد الذين أرسلهم سعد بن أبي وقاص وبين يزيد جرد ، ثم نقل لنا عن بعض المستشرقين أنهم ذهبوا إلى « أن هذه الروايات وضعت من بعد ، إن لم يكن في جوهرها ، فعلى الأقل في تفاصيلها » وأن المستشرقين يؤيدون تقدمهم بأن المؤرخين المسلمين لا يتورعون عن رواية أمور هي أدنى إلى الخرافة ، وذكروا رواية عن رسم فيها تطير واعتقاد بالتنجيم . ثم ذهب المؤلف يرد على المستشرقين ردّاً قاتراً ضعيفاً ، حتى إذا أتى لحديث النجوم قال ما نصه : « أما القول بأن حديث النجوم أدنى إلى الخرافة فذاك ما لا أتعرض للخوض فيه ، فليست

علماً بالنجوم ، واست أعرف لذلك مبلغ ما تهدينا اليه من علم بشؤون هذه الأرض التي نعيش عليها وما يقع من الأحداث فيها . على أن كثيرين لا يزالون يؤمنون بها ويحسبون أن علمها يهديهم الى ما يغيب عن غيرهم « ! وما من شك في أن التنجيم والطيرة حديث خرافة ، وأنه شيء لا يقبله العقل ، وأن الاسلام نهى عنه نهياً شديداً ، وتوعد من صدق بمثل هذه الخرافات وعيداً كبيراً . ولكن العجب الذي لا ينقضي ، أن المؤلف يأخذ العرب من حديث النجوم فيخشي أن يتعرض للحديث فيه ، زعماً منه أنه ليس عالماً بها وبمبلغ ما تهدي اليه من علم بالأرض وأحداثها !! ثم هو ينكر كل المعجزات الكونية لرسول الله ، وكل الخوارق المنسوبة الى عمر أو أكثرها ، لا يجد في صدره من ذلك حرجاً ، ولا يتواضع فيظن بنفسه أن قد فاته علم كثير من علوم الاسانيد الاسلامية ، التي أتقنها المتقدمون وأثبتوا بها الصحيح من الأخبار ، ونفوا بها عنها ما وضع الوضاعون وما روى الضعفاء ، حتى جاءوا بالسنة بيضاء نقية . ثم هو قد وجد لنفسه عذراً فيما أحجم عنه من الكلام في النجوم أن كثيرين لا يزالون يؤمنون بها وأظنه يريد بذلك علماء الافرنج !! ولم يجد مثل ذلك العذر فيما أثبتته علماء الاسلام من الأخبار المتواترة والأخبار الصحيحة ، وهو يعلم أنهم كلهم إلا من شذ منهم ، لا يزالون يؤمنون بها ، ويعتقدون أن طرق الاثبات التي وصلت بها اليهم هي أدق طرق علمية لاثبات الأخبار والروايات ، وأن علمها يهديهم الى ما يغيب عن المستشرقين وأتباعهم .

١٢- (ج ١ ص ١٧٥) قال المؤلف في أعقاب يوم أغواث: «وكانت نساء المسلمين يعنين بالجرحي ويمرضنهم ، ويبذلن من صنوف العناية ما يرقه عنهن وما ينسبهم ألمهم » . واسننا ننكر عليه في هذا إلا تعبيره بكلمة « الترفيه » في هذا المقام في هذا الوقت ، فإن الحرب الأخيرة بين الدول أرتنا في بلادنا ، وأمتعتنا عن غير ما رأينا ، معاني منكراً لما يسمى « الترفيه » عن الجرحى والمرضى والأصحاء من الجيوش ، مما يشعرون به بدن كل ذي خلق وكل ذي دين ، وأشاعت بذلك فساداً لا يدري الناس ما عواقبه . وقد جعلت هذه المنكرات لكلمة « الترفيه » معنى يبادر الى ذهن كل من معها ، خصوصاً من الشبان . وكنا نظن بالمؤلف ، على ما نعرف من دقته في التعبير ، أن يتجاوز عن هذه الكلمة الآن ، ويترفع عن وصف نساء الصحابة والتابعين بها ، وقد آلت في أذهان الناس الى ما آلت اليه ، علي ثقتنا بأنه لم يرم الى هذا المعنى ، وهو في ذلك فوق الشبهة عندنا ، ولكننا لا نريد إلا الحذر والاحتياط .

١٣- (ج ١ ص ١٩١) وصف المؤلف المدائن عاصمة مملكة الفرس في ذلك العهد وصفاً خيالياً ، مما قال فيه : « فقد جمعت من معاني انترف الشرق أبهى صورته وأكثرها

وحياً لآلهة الفن وشياطين الشعر . فما « آلهة الفن » هذه ؟ إني أرى كثيراً من السكاكين في هذا العصر يصطنعون كلمات يأخذونها عن الأمم الأخرى ، يزيّدون بها ويتجملون ، يظنون أن لبأس بها ، وفيها كل البأس وكل الشر . إن تسمية « آلهة » أخرى من دون الله كلمات وثنية ، جاء الإسلام بحربها والقضاء عليها . وما تنفع المَعذرة بأن مثل هذه الكلمات إنما هي ألفاظ لا تُعتمد معانيها ودلالاتها ، فأنما وضعت الألفاظ للدلالة ، ولا يطلع على خفايا القلوب إلا الله . ولا يجوز لأحد أن ينطق بمثل هذه الكلمات ، لا هزلاً ولا جدّاً ، وما أذن الله لأحد أن يقول شيئاً من ذلك (إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) وما أظن أحداً يكره هؤلاء الكتّاب على اتخاذ هذه الألفاظ الوثنية ، أيّاً كان مقصدهم منها ، أو تأولهم لدلالاتها (أنفسك آلهة دون الله تريدون) . وليعلم هؤلاء وغيرهم أن الله نعى على المشركين تسميتهم آلهة من دونه ، وما كانوا يزعمون أنهم الخالقون الرازقون ، بل كانوا يؤمنون بالله ، ويشركون بألهتهم ، أنهم يدعونها ويعبدونها لتقرّبهم إلى الله زلفى ، كما حكى الله عنهم في القرآن . فهما يتأول المتأولون في تسمية آلهة من دون الله ، فلن يبعد بهم تأولهم عن شيء لا يجوز أن يقوله من يدين بدين سموي شرعه الله .

والمؤلف يؤلف كتابه في سيرة عمر ، ويتمدّح بأعمال عمر ، ويرفع من شأن عمر ، وأنا أوقن أن لو قد سمع هذه الكلمة عمر ، لكان له معه شأن أي شأن ، نسأل الله العصمة والتوفيق .

١٤ - (ج ١ ص ٢٠٥) يقول المؤلف : « وكان الناس يجتمعون بسعد في قصر كسرى ، فيتحدّث سعد إلى ذوي العلم منهم بماضي هذه البلاد ، ويذكرون أياماً سلفت كانت فيها مقر حضارة العالم . وهذا نقل لم أجده فيما بين يدي من المراجع . وأخشى ، بل أرجح ، أن يكون خيالاً لا حقيقة له ، لا يكون من عالم يتحرى الحقائق في نقله .

١٥ - (ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩) قال المؤلف : « يذهب بعض المستشرقين إلى أن عمر إنما اعتذر عن الصلاة بكنيسة القيامة لما كان بها من صور وتماثيل » وقد ذهب يناقش هذا القول ، ويزعم أنه غير صحيح ، بل ذهب يجرؤ على الفتيا ، ويدعي أن الصلاة إلى الصور والتماثيل لا بأس بها ، بل ذهب يتقول على رسول الله وعلى الذين اتبعوه ، ثم على الإسلام ، بل أربى على ذلك أن كاد يبيح الوثنية صريحاً ، ينتحل قولاً يشبه وحدة الوجود ، وما هو إلا مذهب ينتهي بقائله إلى إنكار وجود الله ! قال ما نصه : « وما كان لمحمد والذين اتبعوه ألا يصلوا بمكان فيه صور أو تماثيل والإسلام إيمان بالله ، والأعمال فيه بالنيات ، فمن صدق إيمانه وخلص لله وجهه فأينما ولى فثم

وجه الله . وإنما حطم محمد الأوثان والأصنام حول الكعبة وفي جوفها يوم فتح مكة حتى يكون بيت الله حراماً على كل دين إلا على الدين الذي أوحاه الله إلى نبيه بينات من الهدى والفرقان ، كي لا تذكر هذه الأصنام والأوثان أحداً بجاهليته فيثور في نفسه إليها حنين . أما الذين صفت قلوبهم لله وتطهرت نفوسهم من كل عبادة إلا عبادته جل شأنه فأولئك لا خوف عليهم أيما صلوا ، وأولئك يرون وجه الله في كل خلقه ، جل ثناؤه وتباركت أسماؤه ! » هكذا قال ، حتى علامة التعجب وضعت في أصل الكتاب . ونعوذ بالله من حكاية هذا القول ، لولا الضرورة إلى التحذير منه ما حكيناه . وكل مسلم يعلم أنه لا تجوز الصلاة إلى التماثيل وإلى ما يؤهم عبادة غير الله . والذي أراد أن ينفية عن عمر قد صح عنه وعن غيره ، ففي صحيح البخاري (ج ١ ص ٤٤٣ — ٤٤٤ من فتح الباري طبعة بولاق) « قال عمر : إنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصور . وكان ابن عباس يصلي في البيعة إلا بيعه فيها تماثيل » . فلا موضع لما افتعله المؤلف من رد الرواية عن عمر برأيه وهو اه .

ويحسب إلي أن للمؤلف في الوثنية رأياً خاصاً ، لا يقره عليه أحد ، يرجعها إلى عهد الجاهلية وآراء الجاهلية ، وقد جاء القرآن بحربها وهدمها . فإن المؤلف عاد إلى مثل هذا المعنى عند الكلام على فتح مصر (ج ٢ ص ٧٩) قال : « فالتوجه الديني أصيل في الشعب المصري بحكم طبيعته . كذلك كان شأنه في عهود الفراعنة ، وكذلك ظل شأنه على القرون . ولعل بساطة عقيدته ، مع تغير الأديان التي دان بها ، كانت ذات أثر في تمسكه بمذهبه ، فهو موحد من أقدم العصور ، وهو على توحيده يشعر بأن الإله الخالق المنعم جل شأنه أعظم من أن يسموه سواه . الناس إلى الاتصال بذاته وإن تطهرت قلوبهم ، فلا بد من زلفى تقربهم إليه ، وتحللهم منه محل الرضا » !! فإن لم يكن هذا تمجيداً للوثنية ودعوة إليها ، نفي للناس أن يلغوا عقولهم !! وأين ما جاء به موسى من التوحيد في عصر الفراعنة ، والكفر بالوحياتهم وبما كانوا يعبدون من دون الله ؟ ! وإن الله يقول : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) الآية ٣ من سورة الزمر ، ويقول تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) الآية ١٠٦ من سورة يوسف .

وليت المؤلف لم يتمم مثل هذه المآزق ، أو سأل عنها من يرشده إلى وجه الحق فيها ، أو اجتهد في البحث عنها في مصادرها واصطنع الأناة والحكمة في اجتهاده لليتته ليته .

١٦ - (ج ١ ص ٢٩١ س ٩) «أمراء الأنصار» خطأ مطبعي، صوابه «أمرأ الأمصار» كما هو واضح.

١٧ - يقول المؤلف (ج ١ ص ٣٠٠): «فأول ما يقضي به الإيمان الصحيح ألا يهاب الجندي الموت، وأن يقدم عليه مغتبطاً به، فإن استشهد في سبيل الله وفي سبيل الوطن وفي سبيل القضية التي ينصرها». وقال أيضاً (ج ٢ ص ٢٢٠): «وما ضر أحدهم أن يقتل في سبيل الله وفي سبيل الامبراطورية الاسلامية». وهذا تعبير موهم، وفي نسبته الى «الإيمان الصحيح» مغالطة، فإن الاسلام لا يعرف الاستشهاد إلا أن يكون في سبيل الله فقط، ففي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد وأصحاب الكتب الستة عن أبي موسى الأشعري قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً، فأَيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

١٨ - (ج ٢ ص ٤٩ - ٥١) نقل المؤلف عن الطبري قصة فتوح فسادورابجرد والطبري ذكر القصة بروايتين (ج ٥ ص ٥ - ٦) فأخذ المؤلف إحدى الروايتين وبقيّة الأخرى، وأعرض عن صدرها، لئيم له تأويله الذي ينبغي. ففي الرواية الأولى أن عمر أرى في المنام خطر موقف المسلمين وأنهم إن استندوا الى الجبل انتصروا، فنادى في الناس «الصلاة جامعة» فجمعهم في الوقت الذي رآه في نومه وقتاً للوقعة وأخبر الناس بما أرى، ثم قال: «يا سارية الجبل الجبل» ثم أقبل عليهم وقال: إن الله جنوداً وأهل بعضها أن يبلغهم» هذا ملخص الرواية الأولى، صاقها المؤلف مفصلة في قليل من التحوير. والرواية الأخرى: «كان عمر قد بعث سارية بن زئيم الدثيلي إلى فسادورابجرد لحاصرهم، ثم إنهم تداعوا فأضجروا له وكثروه فأتوه من كل جانب، فقال عمر وهو يخطب في يوم الجمعة: يا سارية بن زئيم الجبل الجبل، ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل إن لجؤوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فاجئوا إلى الجبل، ثم قاتلوه فهزمهم» ثم ذكرت الرواية ما أصابوا من المغنم ومسير رسول سارية الى عمر وعوده الى البصرة، وأن أهل المدينة قد كانوا سألوه: «عن سارية وعن الفتوح، وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة؟ فقال: نعم سمعنا «يا سارية الجبل» وقد كدنا نهلك، فلجأنا الى الله ففتح الله علينا». وقد أعرض المؤلف عن هذه الرواية واقتبس منها حديث الغنيمة وما أرسل منها الى عمر وغداء رسول سارية معه، فضمه الى الرواية الأولى بنصه. ثم ذكر سؤال أهل المدينة عن سارية وعن الفتوح وجوابه كأنه رواية أخرى. فهذه هي القصة التي رأى المؤلف، فيما نقلناه عنه آنفاً (رقم ٢)، أن يثبتها

من روايات الخوارق ، لأنه « تضافر المؤرخون على روايتها تضافر تواتر يدعو الى النزول على حكمهم فيها » !! وهي رواية من روايات التاريخ ، إسنادها لا يكاد يصل الى الصحة ، لانقطاع في إسنادها الذين رواها بهما الطبري ، فضلاً عن أن يتضافر المؤرخون على روايتها تضافر تواتر !! ولا يبعد أن تصح فما ينكر الخوارق إذا صحّت إلا من ينكر ما وراء المادة ، ومن ينكر كل غيب لا يصل اليه حسه ، أولاً يأتيه خبره الآخر عن يثقي بهم من الأجانب .

١٩- (ج ٢ ص ٥٩) ذكر المؤلف «دائرة المعارف البريطانية» باسمها الانجليزي مرسوماً بحروف عربية « الانسيكلوبيديا بريتانىكا » وما كانت به حاجة الى هذا التكلف والاعراب ، فان أسماء الكتب تترجم الى ما يقابل معانيها في اللغات الأخرى غالباً . وقد ترجم هذا الاسم وعرف بين قراء العربية وهو أقرب إلى إفهامهم أن يذكر اسمها المترجم الذي عرفت به .

٢٠- (ج ٢ ص ٨٤) تحدّث المؤلف عن إسلام عمرو بن العاص ، فلم يجد له إماماً يقلده غير العقاد ، في كتابه الذي ألفه عن عمرو بن العاص في سلسلة « أعلام الإسلام » فانه زعم أن عمراً كانت نظرتة الى الدنيا نظرة عملية وأن مناط الرجحان في تلك النظرة الأخذ بالأحوط والأنتفع ، « حتى ليكاد الأحوط والأنتفع أن يكون عنده مقياساً للحق أو لصحة الأشياء » ثم ذهب يضرب على هذه النعمة ويحكى بعض الروايات يتأولها عليها (ص ٢٧ - ٢٨ و ٥٧ - ٦١) فنقل عنه سعادة المؤلف هنا مناقشة بين عمرو وبين فتى من قريش ثم قال : « ولئن صحّت تلك الرواية لتكوننّ بالغة في الدلالة على اتجاه عمرو في تفكيره ، وعلى أنه كان يؤمن بنظرية المنفعة إيماناً قوياً » . ومعاذ الله أن نظن ذلك بأصحاب رسول الله ، وخاصة بمثل عمرو بن العاص . وقد تقض المؤلف على نفسه ما قلّده فيه العقاد ، فصرّح بعد بأن عمراً « بادر إلى الإسلام عن بينة وإيمان ، لا عن خوف ولا عن إغاثان » . فما ندري لم قال من قبل ما قال ، ولم هذا الاضطراب ؟ !

٢١- (ج ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٤) نسب المؤلف لعمر أن تأسّس به بالرسول لم ينسبه أن يفرق بين الثابت على الزمان من سنته صلى الله عليه وسلم ، وبين ما قضت به أحداث الوقت ، فن المستطاع مراجعته وإعادة النظر فيه ، من غير أن يكون ذلك إنكاراً له ، اقتناعاً بأن رسول الله لو امتدّ به الأجل لراجعه وأعاد النظر فيه . وهذه نظرية خطيرة ، لم ينسبها أحد قط لعمر ، ويبرئ الله عمر من التهمة بها ، فانها ليست إلا مخافة السنة بالرأي والهوى ، وما هي إلا نسخ شيء من السنة بعد وفاة رسول الله ، وما قال هذا أحد قط ، ولعل للمؤلف رأياً يحوم حوله ، لا يكاد يصرح به . فاني أراه قال في أواخر الكتاب (ص ٣٢٢) : « حق لعمر أن يُدفن مع صاحبيه ، ليس نعم بجوارها ، وتطمئن روحه إلى أنه سار على

منتهما ، وأنه أتمَّ على الأرض ما قضى الله أن يتمَّ حين أوحى إلى نبيه رسالة السماء . وقد أتمَّ عمر هذه الرسالة « ! ! ولست أدري ، أهو يعتقد حقاً أن عمر أتمَّ على الأرض هذه الرسالة ، أم هو يرى أن شؤون النبوة والرسالة كبعض ما يعرف من شؤون الدولة والسلطان ، أم هو يلقي الكلام على عواهنه ، لا ياتي له بالا ؟ ! اللهم غفراً .

وامممع — يا سيدي — بعض ما قال إمام الأئمة محمد بن إدريس الشافعي في وجوب اتباع سنة رسول الله على كل أحد ، وهو قول كافة أهل العلم : « وكلُّ ما سنَّ فقد أَرَمْنَا الله اتِّباعه ، وجعل في اتِّباعه طاعته ، وفي العُصود عن اتِّباعها معصيته التي لم يَحْذَرْ بها خلقاً ، ولم يجعل له من اتِّباع سنن رسول الله محرّجاً » . (الفقرة ٢٩٤ من كتاب الرسالة لشافعي بتحقيقنا) . وقال أيضاً في الفقرة ٣٢٦ : « فيما وصفتُ من فرض الله على الناس اتِّباع أمر رسول الله : دليلٌ على أن سنة رسول الله إنما قبلت عن الله ، فمن اتبعها فبكِتاب الله تبعها . ولا نجد خبراً أَرَمَ الله خلقه نصّاً بيناً إلاّ كتابه ثم سنّة نبيه . فإذا كانت السنّة كما وصفت ، لا شبه لها من قول خلق الله ، لم يجوز أن ينسخها إلاّ مثلاً ، ولا مثل لها غير سنة رسول الله ، لأن الله لم يجعل لأدبي بعده ما جعل له ، بل فرض على خلقه اتِّباعه ، فألزمهم أمره . فالخلق كلهم له تبع ، ولا يكون للتابع أن يخالف ما فرض عليه اتِّباعه . ومن وجب عليه اتِّباع سنة رسول الله لم يكن له خلافاً ، ولم يَقم مقام أن ينسخ شيئاً منها » . أي لا عمر ولا غير عمر ، لا أصغر من ذلك ولا أكبر . وقال أيضاً في الفقرة ٥٩٩ فيما يقع من أقوال بعض العلماء مخالفاً لسنة : « وليس ذلك لأحد ، ولكن قد يجعل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها ، لا أنه عمد خلافاً . وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل » . وقال أيضاً في الفقرة ٩٠٥ : « وإذا ثبت عن رسول الله الشيء فهو — واللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يوهنه شيء غيره . بل الفرض الذي على الناس اتِّباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه أمراً يخالف أمره » . وكان عمر يقضي في دية أصابع اليد بالتفريق بينها ، فجعل للإبهام ١٥ من الإبل ، ولتلي تليها ١٠ وللوسطى ١٠ ولتلي التلي الخنصر ٩ وللخنصر ٦ ثم ثبت عند أهل العلم أن رسول الله قال : « وفي كل إصبع مما هنالك عشر من الإبل » فأخذوا به كلهم وتركوا قول عمر ، فقال الشافعي في ذلك في الفقرتين ١١٦٧ ، ١١٦٨ : « ولم يقل المساهون قد عمل فينا عمر بخلاف هذا بين المهاجرين والأنصار ، ولم تذكروا أنكم خلافه ولا غيركم ، بل صاروا إلى ما وجب عليهم ، من قبول الخبر عن رسول الله ، وترك كل عمل خالفه . ولو بلغ عمر هذا صار إليه ، إن شاء الله ، بتقواه الله ، وتأديته الواجب عليه في اتِّباع أمر رسول الله ، وعلمه ، وبأن ليس لأحد مع رسول الله أمر ، وأن

طاعة الله في اتباع أمر رسول الله . وصيرة عمر في السنة معروفة ، كان يجتهد فيما يعرض له ، مما ليس فيه نص كتاب ولا يعلم فيه سنة ، فاذا بلغته سنة رسول الله عدل عن رأيه ، واتبع السنة ، بل هو كان أشد أتباعاً للسنة وتمسكاً بها ، في كل شأنه . وأقوى حجة في ذلك موقفه حين مقتله ، إذ يستدبر الدنيا ويستقبل الآخرة ، قال له ابنه عبد الله بن عمر : « إني سمعت الناس يقولون مقالة فأكبت أن أقولها لكم ، زعموا أنك غير مستخلف ، فوضع رأسه ساعة ثم رفعه فقال : إن الله عز وجل يحفظ دينه ، وإني إن لا أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف . قال : فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله وأبا بكر فعلمت أنه لم يكن يعدل برَسُولِ اللَّهِ أَحَدًا ، وأنه غير مستخلف » . وهذا حديث صحيح جداً ، رواه الامام أحمد في مسنده (ج ١ ص ٤٧) ورواه أيضاً مسلم في صحيحه (ج ٢ ص ٨٠ - ٨١) وأبو داود في السنن (ج ٣ ص ٩٣ - ٩٤ من شرح عون المعبود) ورواه أيضاً البخاري مختصراً (ج ٩ ص ٨١ من الطبعة السلطانية) . فهذا عمله كما ترى في شيء سلمي مكوتي ، لم يستخلف رسول الله ، ولكنه لم ينه عن الاستخلاف ، واستخلف أبو بكر ، وهو صاحب الأول ، والوزير الأول ، والخليفة الأول ، وهو كان أعلم برَسُولِ اللَّهِ من عمر ومن غير عمر من الصحابة ، وأقره عمر وأقره المسامون جميعاً فكان اتفاقاً منهم على أن الاستخلاف جائز غير ممنوع ، ومع ذلك فإن عمر أبى إلا أن يتبع فعل رسول الله في ترك الاستخلاف ، وعرف ذلك منه ابنه عبد الله ، وهو أعرف الناس به ، « فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله وأبا بكر فعلمت أنه لم يكن يعدل برَسُولِ اللَّهِ أَحَدًا » فهذا هو عمر على حقيقته « بتقواه لله ، وتأديته الواجب عليه في اتباع أمر رسول الله ، وعلمه » كما وصفه الشافعي حقاً ، لا على الصفة المنكرة التي اخترعها المؤلف : أنه يلعبُ بالسنة برأيه ، فيفرق بين الثابت على الزمن وبين ما قضت به أحداث الوقت ، فيراجعه ويعيد النظر فيه ، توهماً من المؤلف — لا اقتناعاً من عمر — « أن رسول الله لو امتدَّ به الأجل لراجعه وأعاد النظر فيه » ١١ وهذا هو عمر التابع المطيع والخادم الأمين ، ليس كما يصوره المؤلف ، مخالفاً كل نص وكل معقول ، أنه آثم على الأرض هذه الرسالة ! ! وعمر يعلم أن الله أنزل على رسوله في يوم عيده ، يوم عرفة يوم الجمعة في عرفة (اليوم أكلت لكم دينكم) .

٢٢ — (ج ٢ ص ٢٢٢) يتحدث المؤلف عن عمر يقول : « ولقد كان يرى نفسه مسؤولاً أمام ضميره وأمام الله » . وهذا تعبير إفرنججي مستحدث ، ومعنى باطل لا يعرفه

عمر ولا يعرفه الاسلام ، ، فانما الذي يدين الناس ويسألهم عن أعمالهم ، والذي يجب عليهم أن يتقوه ويخشوه هو الله وحده .

٢٣ — (ج ٢ ص ٢٣٦) يقول المؤلف في شأن تدوين الدواوين : « فقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكتبون له الكتب والرسائل . وكانت هذه الكتب تحفظ صورها وتحفظ الردود عليها في داره بالمدينة » . وهذا نقل طريف ، لا أذكر أنني رأيته أو سمعت به قط ، فعسى أن نفيد من علم المؤلف وسعة اطلاعه ، فيرشدنا إلى المصدر الذي نقله منه .

٢٤ — (ج ٢ ص ٢٤٠) في إشارته الى عبد المطلب بن هاشم قال : « وتذكر كيف أدى نذره » . وما نطن هذا التعبير دقيقاً ، فإن المعروف في كلام العرب أن يقال « وفي بنذره » أو « أوفى بنذره » أو نحو ذلك .

٢٥ — تحدث المؤلف عن صور النكاح في الجاهلية ، فذكر منها أن يتزوج الرجل امرأة فيزورها في قومها ، ينزل عندها في رحلته . وقد تعقبناه في ذلك في المقال الذي نشر في مجلة « الكتاب » . ثم عقب المؤلف كلامه السابق بقوله : « ويذهب بعض المؤرخين الى أن هذا الزواج أصل زواج المتعة الذي أبيح في صدر الاسلام الى أن حرّمه عمر » . ولم يكن شيء من هذا ، ولم يقل أحد من المؤرخين ما قال . بل نكاح المتعة كان أحد صور النكاح في الجاهلية ، وقد أبيح في صدر الاسلام ثم نسخ وثبت الأمر على تحريمه . وليس يصح ادعاء المؤلف أنه بقي مباحاً الى أن حرّمه عمر ، إلا على نظريته التي أنكرناها عليه : أن عمر كان يعيد النظر في سنة رسول الله ، وأنه أتم الرسالة ! وأما الثابت عند أهل العلم : « أن عمر لم ينه عنه اجتهداً ، وإنما نهى عنه سنداً الى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم » كما قال الحافظ ابن حجر . وانظر فتح الباري (ج ٩ ص ١٤٣ — ١٥١) . ولم يكن عمر ولا غيره يملك أن يحرم الحلال ، ولم يجعل الله ذلك لأحد من خلقه بعد رسول الله .

٢٦ — (ج ٢ ص ٢٥٨) استعمل المؤلف فعل « تعمق » متعدياً بنفسه وهو فعل لازم ، لا شك في ذلك ولا خلاف . وفي اللسان : عمّق النظر في الأمور تعميقاً ، وتعمق في كلامه أي تنطّح ، وتعمق في الأمر : تنوّق فيه فهو متعمق » . والذي ابتدع هذا الخطأ ولهج به وأشاعه ، هو الدكتور طه حسين بك ، فقلده المؤلف وغيره من الكتاب عن غير تدبر ولا بحث .

رعاية الأمومة والطفولة^(١)

الجهود التي تبذلها وزارة الصحة في هذه السبيل

اختص قسم رعاية الأمومة والطفولة بالاشراف على أمهات وأطفال المحافظات وعواصم المديريات ومراكزها . أما القرى فن احتصاص مصلحة الصحة القروية .
ان الجهل والفقر وسوء المسكن وكثرة الأطفال عند الفقراء وقلة المولدات وزيادة المتعطلين والضعف الخلقي والأمراض المعدية وسوء استخدام الرضاعة وتفتشي الدجل والخرافات، أوجد جبهة مستعصية على العلاج إلا بالجهود الجبار الذي يتناسب مع خطورتها .
وهذا ما حدا بنا لشرح الجهود التي تبذلها الوزارة في سبيل رعاية الأمومة والطفولة .
وتتلخص هذه الجهود في الآتي :

أولاً - منع زيادة وفيات الأطفال - هذا الموضوع متشعب كثير المشاكل من الناحيتين الصحية والثقافية متداخل بعضه في بعض عسير تفرقتها أو تجزئتها، ولا يمكن أن تنهض الناحية الصحية منفردة بهذا العبء كله دون أن تشد أزرها الناحيتان الاقتصادية والثقافية .

ويبلغ متوسط مواليد القطر في العام ٦٥٠ ألف ، ووفياته ٤٣٠ ألف منهم ٢٤٠ ألف طفل . والأطفال الذين تقل سنهم عن الخمس سنوات هم أكثر من نصف وفيات القطر عامة بحيث يمكن اعتبار مشكلاتهم وحدها بمثابة نصف المشاكل الصحية والاجتماعية التي يجب العناية بها في هذه البلاد .

وهذه الوفيات على كثرتها لا تدل على سلامة الباقين بل تشير الى تفشي الأمراض بينهم لأن الأطفال المرضى لا يمكن أن ينتج عنهم غير شعب سقيم .

وعلاج هذه المشكلة القومية يتلخص في :

- ١ - تعميم مراكز رعاية الأمومة والطفولة بمعدل مركز لكل ١٥ ألف من السكان
- ٢ - زيادة المراقبة على أعمال الدايات ورفع مستواهن الثقافي

(١) محاضرة ألقاها الدكتور حسن كمال بك مدير رعاية الأمومة والطفولة بوزارة الصحة صباح

٣ — تخريج أكبر عدد ممكن من مساعدات الموليدات الزائرات الصحيات

٤ — العناية باللقطاء

• — من تشريع حماية الأطفال من الإهمال أو تشغيلهم في سن مبكر أو سوء تغذيتهم

٦ — إنشاء دور كفالة للعناية بالأطفال أبناء العاملات أو البائعات أو الخادמות أو

غيرهن ممن يتحتم عليهن بحكم مهنتهن ترك أطفالهن.

ثانياً — رفع المستوى الصحي والاجتماعي لاجراج جيل سليم قوي

ان بعض الأمراض الاجتماعية تنتقل بالوراثة كالزهري وبعضها عن طريق البيئة كاللدرن الرئوي وهذه الأمراض خطرة فتاكة تذبل أبناء الأمة وتضعف أجسامهم وعقولهم وتقتل الأجنة وتقصّر الأجل وتحدث التشوهات والشلل والجنون — وقد هبطت نسبة الاصابات بالزهري ببعض مراكز رعاية الأمومة والطفولة من ١٦ في المائة إلى ٣ في المائة نتيجة علاجهن بها .

ومما لا ريب فيه أن للزهري دخلاً كبيراً في ارتفاع نسبة الوفيات في المملكة المصرية . وقد بلغت نسبة حوادث الاجهاض بين الحوامل بالزهري في إحدى عيادات الأمراض الجلدية بالقاهرة حديثاً ٤١ في المائة . ونسبة الأطفال المولودين موتى ٢٦ في المائة . ونسبة الأطفال الذين يعالجون من زهري وراثي ٢٤ في المائة . اما السيلان فخطره يظهر جلياً في أنه كثيراً ما يسبب العقم لدى البالغين والعمى عند الأطفال حديثي الولادة — أما السل فرض عائلي غالباً وقدّر عدد المسؤولين بالمملكة المصرية بربع مليون مصاب يموت عشرين سنوياً . والأمراض العقلية تنتقل بالوراثة إلى الأبناء والأحفاد .

كل هذه الأمراض تنتقل كما ذكرنا بالوراثة أو بالبيئة أي أنها أمراض عائلية يمكن إيقافها بل ومنعها بمعرفة مراكز رعاية الأمومة والطفولة إذا اكتملت عدة وعدداً . وقد تكون تلك المراكز السلاح الأساسي لذلك فيلبيها أهمية مكاتب الكشف على الراغبين في الزواج ومراكز علاج الأمراض السرية .

فقد بلغ تعداد حالات الزهري الوراثي التي عالجها قسم رعاية الأمومة والطفولة بمراكزه عام ١٩٤٤، ٩٣٤٧، وحالات الأمراض الجلدية ٨٨٦٧٥، وعينات الدم للفحص بطريقة وازرمان ٤٥٦٢٢، وعدد من تمّ علاجهم ضد الزهري من الأطفال ١٤١٨ وهو مجهود عظيم ضئيل بالنسبة لحالة البلد الصحية .

ويتطلب الحمل عند الأمهات عناية كبيرة حتى يقلل من مضاعفات الولادة لدرجة محسوسة . وهذه العناية من أعظم الأعمال التي تقوم بها مراكز رعاية الأمومة والطفولة بالقطر .

ويكفي أن نذكر هنا أن تعداد الحوامل القديمة اللاتي ترددن على مراكز رعاية الطفل سنة ١٩٤٤ بلغ ٣٦٩٥١٩ كما بلغ تعداد الحوامل الجديدة ٩٥٩٦٢ وتشمل العناية بالوالدات أثناء الوضع مكاناً كبيراً من اهتمام القسم فقد بلغ تعداد الولادات التي قامت بها مراكز رعاية الطفل سنة ١٩٤٤ — ١٣٢١٥ كما بلغت تعداد الولادات التي أحييت على المستشفيات بمعرفة تلك المراكز ١٥٢٧ ولادة .
وهذه الأعداد على ضخامتها لا تزال ضئيلة بالنسبة لما يجب أن تكون عليه إذا ما عمت مراكز رعاية الطفل بأنحاء المملكة على أساس مركز لكل ١٥ ألف نسمة على الأقل ، ذلك لأن تعداد الاهالي المطلوب من قسم رعاية الطفل الاشراف عليهم هو ٨٥٢٢٠٠ ر ٤ نسمة ، متوسط الولادات سنوياً بينهم هو ٩٤٠ ر ١٨٩ .

وبمناسبة النجاح الذي أسفرت عنه التجربة التي عملت بمراكز رعاية الطفل الحالية من إيجاد بعض أسرة بها مستعدة لاستقبال من يأتيهن المخاض أثناء زيارتهن للمراكز أو الحاملات الفقيرات ، أو من ليس لهن عائل يرعى شؤونهن أو من يحضرن من جهات نائية وتطلب حالتهم الملاحظة أثناء الولادة والنفاس ، أو من كانت منازلهن لا تلبيك صحياً للولادة بها . بدأت الوزارة تعمم الأقسام الداخلية بالمراكز وذلك بإيجاد ستة أسرة للولادة على الأقل ولو بالمراكز الرئيسية لتستطيع أداء هذه الرسالة ولتكون نماذج عملية للحوامل والأمهات

أما رعاية الطفل بعد الولادة فقامت على القواعد الصحية العالمية وأصبحت نتائجها ماثلة فقلت نسبة وفيات الأطفال في البلاد التي تقوم بالخدمة فيها مراكز رعاية الطفل والمنتظر تعميم تلك المراكز بالقطر فتقل هذه النسبة تدريجياً كما يزداد تعداد السكان بنفس النسبة العكسية . وقد أدخلت على المراكز المذكورة أعمال ساعدت على تحقيق هذه الأمنية الى حد كبير . إذ لا يخفى أن اللبن المجفف ومنع توالد الذباب وتحسين المسكن وتوفير الكساء كلها عوامل أساسية في الإقلال من الوفيات — فعن اللبن المجفف تقوم مراكز رعاية الطفل بتوزيعه على الأخص في أشهر الصيف منعاً من تلوث أغذية الطفل وقتئذ .

وفوق ذلك فإن الوزارة توزع ٧ كيلو لبناً حليماً مغلياً يومياً في كل مركز على الأمهات والأطفال الضعفاء من سوء التغذية فقلت مقاومتهم للأمراض . وقد أتت هذه العملية بتحسين واضح من حيث الوزن والصحة العامة إلا أن الكمية المنصرفة يجب مضاعفتها تمشياً مع حالة الفقر المتفشية وهو ما وعدت الوزارة به .

ولما كان الملابس المناسب ضروري للأطفال لأنه يقيهم شر البرد ويمنع عنهم الالتهابات

الرؤية فإن الوزارة توزع في بعض المناسبات السعيدة كأعياد حضرة صاحب الجلالة الملك وممو الأميرة فريال بعضاً من هذا الكساء لمن يستحقونه . وهذا التقدير يجب أن يزداد كثيراً حتى تتمكن المراكز من سد هذا النقص لطبقة الأطفال الفقيرة جداً ، عراة الأجسام خاص البطون .

وأما الكساح المنتشر بين الأطفال فيعالج بشتى الوسائل كالأشعة فوق البنفسجية . وقد أنشأت الوزارة بضع أجهزة لهذا الغرض على أن تعمم مستقبلاً في جميع المراكز . وتساهم مراكز رعاية الطفل في موضوع تحسين المسكن بالارشاد والنصيحة . والثابت أن عدم وجود المنافذ الكافية وازدحام المساكن المتلاصقة وضيق قاعاتها القذرة التي لا تتخللها أشعة الشمس بل وضوء النهار فضلاً عما يحيطها من سماء وبرك ، كل هذه أسباب تعرض الطفل الى شتى الأمراض المعدية المعروفة .

أما ناحية التحصن ضد الأمراض فإن رعاية الأمومة والطفولة سائرة سيراً حسناً من حيث التطعيم ضد الجدري والتحصين ضد الدفتريا وغيرها من الأمراض المعدية الأخرى كلما دعت الظروف .

وقد بلغ عدد من تطعم ضد الجدري في عام ١٩٤٤ - ٢٤٨٧٠ طفلاً . ومن تطعم ضد الدفتريا ٢٠٦٢٤ طفلاً . والمجهود لا بأس به وهو يساعد على منع انتشار الأوبئة . وهناك مشاريع صحية اجتماعية تساعد على إخراج جيل سليم قوي هي محل عناية وزارة الصحة تتلخص فيما يلي : —

أولاً — ناحية الأم

- ١ — الاكثار من تعميم مراكز رعاية الأمومة والطفولة حتى تتمكن كل حامل من الحصول على داية متفقة أو مساعدة مولدة لتوليدها .
- ٢ — العمل على امكان الحصول على مساعدة طبيب اخصائي للفحص وقت الحمل وتوجيه الحالة التي تتطلبها في الوضع والنفاس .
- ٣ — توفير أسرة للولادة بمراكز رعاية الطفل .
- ٤ — الاستعانة بمستشفى ولادة مجاور .
- ٥ — الاستعانة بالمعامل وأجهزة الأشعة وغير ذلك كما اقتضت ظروف الحمل .
- ٦ — اعطاء أغذية مناسبة للجوامل بالمصانع ومنحهن الاجازة الكافية قبل الولادة وبعدها فالملوب الآن جيل لا يملأ مستشفيات ولا تقترسه أمراض ، بل جيل يقاوم المرض . جيل نشيط . جيل كامل من كل وجهة .

ثانياً — وهناك فوق ما ذكر وجهات أخرى اصلاحية لرعاية الطفل تتلخص فيما يلي : —
 ١ — مكاتب الكشف على الراغبين في الزواج . ٢ — مشاريع لتحسين صحة الأطفال
 الفقراء كالمصححات الوقائية . ٣ — انشاء مدارس للشواذ . ٤ — السعي في الاكثار من
 متنزهات الأطفال . ٥ — استصدار قوانين لحماية الأطفال كقانون سلب الولاية . ٦ —
 الاكثار من دور الحضانة بجوار المصانع . ٧ — انشاء المصايف المجانية على سواحل البحر
 في فصل الصيف ترحل اليها على دفعات الأطفال والأمهات من متددات مراكز رعاية الطفل
 ممن هم أكثر حاجة اليها بطريق المجان وعلى نفقة الحكومة في الانتقال والاقامة .
 ثالثاً — مشتملات مركز رعاية طفل حديث : يفضل القسم أن تقوم وزارة الصحة
 ببناء مراكز رعاية الطفل على نفقتها حتى تصبح كلها حكومية ومنشأة على النمط الصحي السليم
 وفيما يلي بيان بوظائف مركز رعاية طفل حديث :

- | | |
|----------------------------|-------------------------|
| ١ — طبيب أول درجة خامسة | ٦ مساعدات مولدات زائرات |
| ١ — طبيب ثان درجة سادسة | ساعي |
| ١ — صيدلي درجة سادسة فرعية | بواب |
| ١ — كاتبة درجة ثامنة فرعية | غسالة |
| ٢ — مولدة درجة سابعة فرعية | ٦ ممرضات |

ويشترط أن يكون بكل مركز جهاز للاشعة فوق بنفسجية ومعارض للأطفال (أغذية
 ملابس حمامات — ... الخ) وغرفة محاضرات تحوي جهازاً سينمائياً لعرض الأفلام الثقافية
 وحديقة صغيرة للأطفال ويلحق بكل مركز حمامات ومغاسل المترددات وأطفالهن .
 رابعاً — رفع المستوى الثقافي بين المساعدات والدايات : تعني الوزارة الآن بهذه الناحية
 وهي تبحث موضوع تتبع مدارس التوليد والتمريض المختلفة بالوزارة الى معهد واحد على
 غرار المعهد الصحي لتخريج موظفات لشغل وظائف التوليد والتمريض المختلفة بأقسام
 الوزارة التي تعمل بها هذه الفئات وهي (الصحة القروية — الأمراض العقلية — المستشفيات
 رعاية الطفل — مستشفيات الحميات — صحة مصر — الأمراض الصدرية — الأمراض
 التناسلية — الرمد)

ووضع برنامج موحد شامل ولائحة لتنظيم الدراسة بالمعهد المقترح انشاؤه
 ٧ — ارسال مساعدات لخدمة النوافس في منازلهن بضع ساعات يومياً في الغسيل
 والطهي بدون أجر على حساب المركز (هو مفيد للمساعدات المنزلية)
 ٨ — الاحتفاظ بقائمة من الأمهات المترددات اللواتي فقدن أطفالهن ويرغبن في

الإرضاع بأجر ليتمكن الجمهور من الاستعانة بهنَّ كرضعات عند الحاجة
ثانياً: الطفل — لا تتوفر رعاية الطفل في أمة إلا بتوفر الشروط الآتية أو قل الوصايا
الاثني عشرة أو قانون رعاية مطفل

- ١ — يجب أن يولد الطفل ولادة طبيعية خالياً من مرض وراثي
- ٢ — يجب أن يتوفر للطفل بيئة صالحة ووسط مرح وسرور
- ٣ — يجب أن يخصص للطفل جزء من إيراد والده ووالدته
- ٤ — يجب أن يعنى بالأم قبل الوضع وبعده من الوجهتين الطبية والاجتماعية
- ٥ — يجب أن تساعد الأم وتفضل على غيرها في العلاج في المستشفيات
- ٦ — يجب أن تكررَّس الأم عنايتها لطفلها لمدة ثلاث سنوات على الأقل
- ٧ — يشترط في غذاء الطفل أن يكون كافياً
- ٨ — يجب أن يوضع الطفل تحت ملاحظة طبية دورية
- ٩ — يجب أن تتوفر للاطفال دور كفالة لمن تضطر أمهاتهم أن تتركهم وحدهم حصّة
من اليوم، ذلك للاطفال الذين يقل عمرهم عن الثلاث سنوات
- ١٠ — يجب أن تتوفر ملاجئ لايواء الاطفال الذين يزيد سنهم عن الثلاث سنوات
مدة مرض أمهاتهم أو فقد من يعولهم
- ١١ — يجب انشاء مدارس لتعليم الأمهات العناية بالاطفال، أو على الأقل يجب تدريس
ذلك بالمدارس الحالية

١٢ — يجب العناية بالمرضع والتأكد من خلوهنَّ من أمراض معدية أو أمراض
أخرى تؤثر على الطفل أو على تربيته وان يكون لبنها موافقاً للطفل الرضيع وغير ذلك حتى
يكفل للطفل الغذاء والصحة والراحة. وان لا يسمح لمرضعة أن ترضع طفلاً إلا بعد أخذ
تصريح بذلك

ومن هذا يتضح أن أهم العوامل في انشاء جيل جديد سليم هو العناية بالعائلة والمنزل.
فأساس سعادة الأمة هو سعادة العائلة، واستتباب وسائل الراحة بالمنزل. وهذه الوصايا
الاثني عشرة ليست كلها طبية بل بعضها اجتماعية. ومن هنا يستنتج أن أهم ما تعني به الأمم
الراقية هو الناحية الاجتماعية. أما الناحية العلاجية كالانشاء للمستشفيات والعيادات الخارجية
فطريقة ترقية واصعاف لأطالة عمره وتصرفه المرض أو الضعف. ونحن الآن لا نزيد
ترقيعاً بل نريد انتاجاً سليماً من الأماس. نريد صحة تامة ولا نريد أمراضاً تهدر كياننا
وآلاماً تحرمنا لذة العمل والبكد والحياة ونستعين على تحملها بالعقاقير والمستشفيات

ولا يخفى على حضراتكم ان رعاية الأمومة والطفولة تجارة رابحة فهي أنجع وسيلة لاجراج جيل سليم، ومتى صلح الأصل سهلت مقاومته للأمراض، وقلت اصابته. فتتوافر الأيدي العاملة، ويكثر بالتالي الانتاج المشر في شفاء المرضى وخصوصاً المصابين بأمراض مزمنة. وقد أثبتت المباحث الحديثة أن مسمع الطبيب ومشروط الجراح هما آخر وسيلة للعلاج، وأن هناك وسائل كثيرة ومشروعات صحية أخرى أهمها رعاية الأمومة والطفولة إذا أعطيت شيئاً من العناية منعت كثيراً من المرض والبؤس وجلبت للوطن خيراً هو في أشد الحاجة إليه منذ آلاف السنين

الركنور حسن كمال

مدير قسم رعاية الامومة والطفولة

لا أعلم لماذا يفر الكتاب والخطباء من كلمة «الاشتراكية» ويمدلون الح-مراكم عنها الى عبارة «العدالة الاجتماعية»، مع أن الاشتراكية فيها المعنى والعدل الاجتماعي الحر في لقوله تعالى «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» وعبارة العدالة الاجتماعية فضلاً عن خطئها لغوياً، إذ ليس في اللغة «عدالة» وإنما فيها «عدل»، فلها فوق ذلك تحمل من المعاني أوسع أنواع الاشتراك وأبعد المبادئ تطرفاً في المساواة.

معنى العدل في القانون معنى مطلق، ولا يفرق بين درجاته على ما يفهمها التقدير العقلي الاكفائية الناس على ادراك ما تقتضيه اقامة العدل من الاعتبارات في مختلف الظروف. فالعدل في معناه الحقيقي مطلق، وفي تطبيقه نسبي. وما نأنس في تطبيق القوانين من معنى العدل، لا يتجاوز في الحقيقة المعنى المدرك من «الانصاف»، ذلك بأن الانصاف خاص، يفرق بين قيم الحقوق في كل حادث بعينه. أما «العدل» فعام مطلق، بل ان فيه طعماً تجريبياً يدخله في دنيا البعديطبعيات.

من حتماً أن تأخذ في مثل هذه الاحوال بما كان يقول كوفوشوس حكيم الصين، إذ انه درب تلاميذه ومريديه على ضبط المعنى اللفظي قبل المناقشة، فكان يقول لهم «حددوا المصطلحات». وان ما نرى من خلاف بين الناس وتنازع بين الاحزاب وتجادل بين الطبقات، اكثره راجع الى التعميم الواسع في معنى المصطلحات، وعدم تحديد معانيها

المحرر

المدرسة الخاتونية البرانية

بدمشق - ٢



الخطان الرابع والخامس

تحقيق أمر « مسجد الخاتونية » الذي عناه ابن كنان « ومسجد تربة الخاتون بالجبل »
الذي ذكره ابن شداد

بعد أن فرغنا من إثبات أن مسجد الخاتونية البرانية لا موضع له بين زاوية القرنى
والمدرسة المرشدية . وأنه ليس المدرسة الآتابكية . وحققنا أمر المدرسة الخاتونية البرانية
التي أشار العامري إلى أن سييبي كافل دمشق نقل رخامها إلى مدرسته بباب الجابية ، وقلنا
إنها كانت تقع بالشرف القبلي جنوبي بردي ولا علاقة لها بجبل الصالحية ، نتقدم الآن للتعريف
بمسجد الخاتونية الذي نقل الأستاذ أسعد عن ابن كنان « إنه كان فيه درس حديث في
الأشهر الثلاثة وأن آخر من درس فيه . القاضي حسن بن العدوى الصالحى » لأن هذا
المسجد كما سيتضح هو أيضاً غير هذه المعاهد جميعاً ولا علاقة له بها .

وكذلك سنحقق أمر مسجد تربة الخاتون بالجبل الذي ذكره ابن شداد وابن عبد الهادي
وسنثبت أنه ليس المدرسة الآتابكية ولا المدرسة التي أشار إليها العامري وإنما هو مسجد
تربة عصمة الدين خاتون زوجة نور الدين الشهيد ومن بعده صلاح الدين الأيوبي .

نجد واجباً علينا ونحن ندرس مؤسسة أنشأتها خاتون أي سيدة في مدينة كدمشق بها
كثير من المعاهد التي بنتها الخواتين أي السيدات والتي يسعى كل منها باسم خاتونية أن
نحدد ما يريد ابن كنان عند ذكره « مسجد الخاتونية »

والطريقة المثلى لذلك هي أن نتعقب ابن كنان في جميع تضاعيف كتابه « المروج
السندسية » وأن نتأكد تماماً وبدون أدنى شك موقع وتاريخ « مسجد الخاتونية »
الذي ذكره : -

أولاً — يقول ابن كنان في ص ٢٨ من كتابه « المروج السندسية بتاريخ الصالحية » مخطوط دار الكتب الملكية بالقاهرة (ومنه نسخة مصورة بالجمع العالي العربي بدمشق هي التي اعتمدنا عليها) جامع الخاتونية : « وفيه درس حديث في الأشهر الثلاثة وآخر من درس فيه القاضي حسن بن العدوى الصالحية »

ثانياً — ويقول في ص ٢٩ عند تعداد مساجد الصالحية. « مسجد في سوق شعيب ... ومسجد في زقاق الأسد في سوق شعيب ومسجد الشرابية ... ومسجد عند مطهرة الخاتونية وآخر قبله وآخر في حارة المقدم على الطريق السلطاني مقابل قناة العين .. الخ ثالثاً — ويقول في ص ٣٠ عند ذكره ما ذكر الصالحية.

« قال ابن عبد الهادي في تاريخ الصالحية .. ومن ما ذكرها (أي الصالحية) .. (بالمدرسة) المرشدية واحدة و (بالمدرسة) الأتابكية واحدة ... و (بالمدرسة) الماردانية واحدة .. وعند الخاتونية واحدة ... انتهى كلامه أقول (أي ابن كنان يقول) والسليمانية (أي جامع محي الدين) واحدة والموجود منها بعد الألف ... الخاتونية والماردانية ... والأتابكية والمرشدية ... أدركتها .. الخ

رابعاً : ويقول بصحيفة ٧٥ من المخطوط « ... وأما العمار الآن في الصالحية فمن حد السنة الى الصالحية بها خمس خطب : المظفر ، والسليمانية ، والحاجبية ، والخاتون ، والماردانية .. » خامساً : ويقول في ص ٩٤ — ٩٥ عند افتخاره بالصالحية وبراعة أهلها في الصناعات والفنون بحيث لا يلحقهم فيها أحد :

« ... وقول الناس في المثل سابق الصالحية لا يلحق . لأن الجوب فيها كذلك ... فأما العلماء فالأجلاء كانت بها والحفاظ والصلحاء والعباد والرؤساء وأصحاب الشرف . وفي الصناعة ان بجامع الخاتونية سدة مدهونة عمل رجل دهان من الصالحية فعجز أرباب هذه الحرفة عن أن يماثلوها ... وكذلك بقية الصناعات حتى المصارعين والبهلوانية والحلوانية والخطاطين وأصحاب الأصوات الجميلة حتى لقد سافر أحدهم الى مصر فسمعت صوته جارية فرمت بنفسها من الرعب ... ومن قول الناس في المثل : سابق الصالحية لا يلحق لأن الجرب فيها كذلك . اه . ويستنتج من ذلك الحقائق التالية :

- ١ — ان مسجد الخاتونية كان به درس حديث في ثلاثة أشهر من السنة
- ٢ — انه يقع بالقرب من المدرسة الجهاركية (المعروفة بالشرابية) ومن حارة المقدم
- ٣ — انه كانت به مأذنة في عهد ابن عبد الهادي واستمرت الى ما بعد سنة الف هجرية
- ٤ — انه كان أحد المساجد الجامعة الكبيرة بالصالحية وكانت به خطبة

٥ — انه كانت به سدة مدهونة بديعة الصناعة بحيث يعجز أرباب هذه الحرفة عن أن يصنعوا مثلها .

ولنبداً الآن في دراسة هذه الحقائق لنصل الى التعريف الدقيق بمسجد الخاتونية الذي عناه ابن كنان فنقول :

أولاً : اثبات ان مسجد الخاتونية هذا هو مسجد تربة عصمة الدين خاتون المعروف بالمسجد الجديد .

١ — يقول النعمي في باب التربة الجزء الثاني من كتابه الدارس ص ٤٥٠ — ٤٥١ ما نصه في الفصل الخاص بالتربة الخاتونية :

« هي على نهر يزيد بصاحية دمشق قبلي المدرسة الجهاركية وهي تربة عصمة الدين الخاتون بنت الأمير معين الدين تزوجت نور الدين ثم صلاح الدين (الأيوبي) وأوقفت المدرسة التي بدمشق لحنفية وقد مرت ترجمتها فيها والخاتناه التي عند جامع تنكز انشأتها سنة سبع وسبعين وخمسمائة (٥٧٧ هـ) كما هو مكتوب على الشباك المطل على الطريق .

وقد وسع هذه التربة وجعلها جامعاً يعرف الآن بالجامع الجديد وأقيمت فيه الجمعة الفقير الى الله تعالى سليمان بن حسين العقيري التاجر وذلك بتولي الفقير الى الله تعالى علي بن التدمري وذلك في شهر سنة تسع وسبعائة (٧٠٩) غفر الله تعالى له ولهم آمين .

ثم أنشأ الخواجه أبو بكر بن العيني تربة له شمالي هذه (التربة) يسلك إليها من بابين أحدهما من الجامع المذكور وتجاههما ايوان بمحراب وأضافه الى الجامع المذكور، ثم أوقف عليها ولده شيخ الاسلام زين الدين عبد الرحمن بن العيني أوقافاً ورتب في الايوان المذكور مدرسا وعشرة من الفقهاء ووقتاً في كل ليلة جمعة وشرط في المدرس والفقهاء أن يكونوا حنفية وأوقف كتبه عليها » اه كلام النعمي .

ويقول العموي في كتابه مختصر الدارس مخطوط المجمع العمي العربي بدمشق في فصل التربة الخاتونية صحيفة ١٢٨ بعد أن يلخص ما ذكره النعمي :

« ... ثم في سنة خمس وسبعين وتسعمائة (٩٧٥ هـ) أظم الله تعالى عبده الصالح محمد ابن محمد المترح أن يوسع هذا الجامع فاجتهد في توسيعه من جهة الغرب ووسعه بقدر مرتين بعد أن كان ضيقاً فصار جامعاً واسعاً تصلى فيه الصلوات والعبادات والتلاوات آناً الليل وأطراف النهار وأزال الحائط الغربي وجعل في هذا الذي جدد محراباً ثانياً ورتب اماماً ووقف عليه وقفاً وأنفق عليه من ماله وساعده بعض أهل الخير تقبل الله منه ومن كل من يفعل الخير » اه .

٢ - يقول النعمي أيضاً بباب المساجد بصحيفة ٥٦٠ ج ٢ . عن ابن شداد
و«مسجد تربة خاتون على نهر يزيد» .

فهنا يصرح ابن شداد بأن مسجد تربة الخاتون الذي نقله عنه ابن عبد الهادي بص ١٣٠
هو الواقع على نهر يزيد وهو قطعاً مسجد تربة عصمة الدين خاتون زوجة نور الدين الشهيد
ومن بعده صلاح الدين المتوفاة سنة ٥٨١ هـ . وقد ظهر لنا بصورة مؤكدة انه كان يعرف باسم
«مسجد تربة الخاتون» حتى عهد ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ . ثم وسع وجعل جامعاً
كبيراً بخطبة وتقام فيه الجمعة في سنة ٧٠٩ هـ . والسبب في هذه العماره كما نرى ما حدث فيه
من التشيع والتخريب بسبب ما أوقعه التتار وصاحب سيس من النهب في الصالحية في ٦٩٩ هـ .
يقول ابن كثير في حوادث سنة ٦٩٩ هـ مجلد ١٤ ص ٨ من كتابه البداية والنهاية . «وفي
يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقازان على منبر دمشق بحضور المغول بالمقصورة
ودعي له على السدة بعد الصلاة وقرء عليها مرسوم بناية قبجق على الشام وذهب اليه
الاعيان فهنئوه بذلك . . . وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب
سيس في نهب الصالحية ومسجد الاسدية ومسجد خاتون ودار الحديث الأشرفية بها (أي
بالصالحية لوجود دار حديث أخرى أشرفية بدمشق شرقي القلعة بالعصرونية) واحترق
جامع التوبة بالعقيبة الخ» . اهـ .

فبعد هذه العماره التي جدد فيها المسجد ووسع وجعل جامعاً كبيراً بخطبة تقوم فيه الجمعة
بدأ الناس يسمونه «الجامع الجديد» بجانب تسميته القديمة «مسجد الخاتون» . لذلك نجد
ابن عبد الهادي يسميه الجامع الجديد ويذكره في كتابه بهذا الاسم فيقول في ص ١٥٩ :
«فصل في ذكر المساجد المختصة : غالب مساجد الصالحية للحنابلة الا جامع الشبلية والجامع
الجديد» الخ . و ص ١٥٥ : «الحلة الثانية والعشرون من محلات الصالحية :

حارة الدلامية وحمام المقدم : المسجد السادس بالجامع الجديد . . . ولكنه حين ينقل
اسمه عن ابن شداد يسميه «مسجد تربة الخاتون» (ص ١٣٠) وقد علمنا فيما سبق أنه بعد هذه
العماره أنشئت تربة العيني وأضيفت إليه وجعل فيها الدرس والمكتبة ثم وسع الجامع بعد
ذلك بقدر مرتين في سنة ٩٧٥ هـ . ولما كان ابن عبد الهادي قد ألف كتابه هذا في اواخر
القرن التاسع الهجري وتوفي سنة ٩٠٩ أي قبل توسيع الجامع بحجمه الكبير بنحو ٦٦ سنة
فقد ثبت لدينا أن هذه التسمية كانت معروفة وذائعة قبل عصر ابن عبد الهادي . فاذا
أضفنا إلى ذلك أن النعمي مؤرخ لاحق لابن عبد الهادي توفي سنة ٩٢٧ هـ وعرفنا أنه كان
يعلم التسميتين للمسجد وأنه أشار إليه في باب المساجد ثم ترجم له في باب التربة في فصل

تربة عصمة الدين خاتون . وإن اللوحة التذكارية المنقوش عليها اسم البانية وتاريخ انشاء التربة سنة ٥٧٧ هـ لا تزال موجودة في موضعها بالواجهة الشرقية للجامع كما شاهدها النعيمي . فلا يكون هناك إذن أي شك في أن مسجد الخاتونية الذي ذكره ابن كنان وكان به درس الحديث في الأشهر الثلاثة هو المسجد الجديد هذا وهو نفسه الذي يسميه ابن شداد « مسجد تربة الخاتون في كتاب المساجد بص ١٣٠ وموقعه جنوب الجهاركسية (المعروفة محلياً باسم الشركسية أو الجر كسية) بحارة المقدم والدلامية قرب الطرف الشمالي لزاقي الآخذ من الجسر الأبيض إلى الجهاركسية .

ثانياً : يشير ابن كنان في ص ٢٩ عند ذكره مساجد الصالحية إلى مسجد الخاتونية في المنطقة الواقعة بين الجهاركسية وحارة المقدم .

وقد ثبت لدينا مما ذكرناه آنفاً أن مسجد الخاتونية هذا هو الجامع الجديد ولا يوجد في هذه المنطقة (بين الجهاركسية وحارة المقدم) مسجد آخر يمكن أن تنطبق عليه هذه التسمية سواء علاوة على أن اللوحتين التذكاريتين اللتين تثبت احدهما بناء تربة عصمة الدين خاتون سنة ٥٧٧ هـ وعمارة المسجد سنة ٧٠٩ هـ لا تزالان موجودتين احدهما بالواجهة الشرقية للحرم والثانية على عتب المدخل . ولا ندري لماذا حرص ابن كنان على عدم ذكر اسم الجامع الجديد مع ان المؤرخين الذين سبقوه من أمثال ابن عبد الهادي والنعيمي والعهوي قد عنوا بالإشارة إليه . والظاهر لنا أن هاتين التسميتين قد عاشت كل منهما مع الأخرى ولم يكتب لاحدهما الغلب فظلتا مشهورتين ومعروفتين حتى الوقت الحاضر . ودليلنا على ذلك ان أهل الصالحية يسمون هذا المسجد تارة مسجد الخاتون وأخرى بالمسجد الجديد .

واننا اطلعنا على كشف بيان الأماكن الأثرية في مدينة دمشق المصنفة وفقاً للقرار رقم ١٦٦ ل ر المؤرخ في ٧ تشرين الثاني (أي نوفمبر) سنة ١٩٣٣ فوجدنا به ما يلي : —

« الجوامع ... وجامع الخاتونية (بحج) الشركسية » أي ان دائرة أوقاف دمشق تأخذ حتى عصرنا هذا بالاسم القديم لهذا المسجد مع تسميته الشائعة المتداولة وهي « المسجد الجديد »

ثالثاً : ينقل ابن كنان عن ابن عبد الهادي ان مسجد الخاتونية هذا كانت له مأذنة ويقول ابن كنان ان هذه المأذنة استمرت الى ما بعد سنة الف هجرية .

ويستنتج من ذلك ان المأذنة التي يشير اليها كانت موجودة في أواخر القرن التاسع الهجري أي أنها ترجع قطعاً الى عمارة سنة ٧٠٩ هـ لأن ابن عبد الهادي الذي روى هذا توفي سنة ٩٠٩ هـ أي قبل العمارة الكبرى الثانية التي حدثت سنة ٩٧٥ هـ لأن هذا المسجد كما ذكرنا مرّ في ثلاثة أدوار معمارية هامة :

الدور الأول : انشاؤه سنة ٥٧٧ هـ

الدور الثاني : اصلاحه وتوسيعه في سنة ٧٠٩ هـ

الدور الثالث : توسيعه في سنة ٩٧٥ هـ

وقد قلنا ان مسجد الخاتونية هو الجامع الجديد. ولو كان ابن كنان يقصد مسجداً آخر لما ذكر مساجد الخواتين الأخريات التي فيها ما ذن بأسمائها المشهورة. وقد ذكر منها صراحة مسجد الماردانية وهو الى الجنوب عند الجسر الأبيض والأتابكية والمرشدية بجادة بين المدارس إلى الغرب وليس في هذه المنطقة مساجد خواتين أخريات ذوات ما ذن يمكن أن تضاف إلى هذه المساجد سوى مسجد تربة الخاتون العصمية (عصمة الدين خاتون) بالجامع الجديد. رابعاً : إن هذا المسجد كان في عهد ابن كنان من المساجد الحمة العظيمة الموجودة في المنطقة المحصورة «من حد السكة إلى الصالحية» والتي بكر منها خطبة. وهذه المساجد الخمس هي جامع المظفر — أي جامع الحنابلة المعروف بجامع الجبل. جامع السائمية — المعروف بجامع محيي الدين ابن عربي. جامع الحاجبية — وقد زالت عينه من الصالحية ولا أثر له الآن. جامع الخاتون — وهو الجامع الجديد.

جامع الماردانية — وهو جامع المدرسة الماردانية المسمى بجامع الجسر الأبيض ولا تزال حتى الوقت الحاضر هذه الجوامع موجودة عدا جامع الحاجبية فقد قلنا إنه زالت عينه وكان موضعه مقابل حمام الحاجب جنوب غربي المدرسة العمرية. ولا يوجد في المنطقة المحصورة بين جامع الحنابلة من الشرق وشارع سكة المدارس من الغرب والجسر الأبيض من الجنوب جوامع أكبر من هذه من حيث العظمة والاتساع وإن كانت المدرسة الماردانية مبنية على طراز المدارس لا على طراز المساجد الجامعة الكبيرة.

خامساً : ذكر ابن كنان في معرض تفاخره بالصالحية وعادتها ورجالها وصناعاتها وفنونها أن مسجد الخاتونية هذا كانت به سدة مدهونة بديعة الصناعة بحيث يعجز أرباب هذه الحرفة عن أن يصنعوا مثلها أو يحاكيوها.

ونقول نحن أن هذه السدة لا تزال موجودة بالجامع الجديد في مواجهة المحراب وهي مدهونة بالدهانات العجمية (على حد تسمية هذه الصناعة بدمشق) وهي وإن كانت قد اختلفت أجزاء منها وبهتت ألوانها وحالت بهتتها فلا يزال بها أثر يبين عن دقة صناعة هذا الفنان الصالح (نسبة إلى الصالحية) وتفوقه وعبقريته وليس في مساجد الخواتين جميعاً بالصالحية كلها مثل هذه السدة بدهاناتها وصناعاتها.

(له بقية) السمر محمد رجب

اللاأدرية : Agnosticism

المصطلح الأعجمي من الأصل اللاطيني gnoscere أي يعرف to know

أطلق هذا الاصطلاح أول الأمر ليكون وصفاً لآية نظرية تنكر أنه في استطاع الإنسان أن يحصل على المعرفة بالله . وبالرغم من أن اللاهوتيين مجمعون على منابذة اللاأدرية ، فانهم لم يتحرروا من الميول المشابهة لما ترمي اليه النظرية . فالبحث في « كيف وإلى أي مدى يستطيع كائن محدود أن يعرف واجب الوجود » — معضلة من شأنها أن تثير صعباً تنتهي إلى نتائج فيها إثارة من طبيعة اللاأدرية . أما هذه الصعاب فلا يمكن أن تنفك عن الطريقة التي يعرض بها اللاهوت هذه المعضلة .

(١) أما باعتبارها نظرية تنابذ المذهب التقليدي : Traditionalism القائل بأن الإنسان في حاجة إلى وحي علوي ليصل إلى المعرفة بوجود الله ، فإن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تقضي بأنه يمكن الوصول إلى تحقيق وجود الله ، من طريق النور الطبيعي المستمد من العقل الانساني . أما من حيث منابذتها لمذهب « الوجودية » Ontologism — القائل بأن الإنسان فيه آليّة خاصة تمكنه من معرفة الله مباشرة — فانها تجنح إلى التكيف بعض الشيء . أما في نكرانها الميول التي تلازم مذهب الوحدية Pantheism ، فانها تقول بأنه من المستحيل على الإنسان مستعيناً بالطبيعة وحدها أن ينفذ بفكره إلى حقيقة وجود الله ، وإن الإدراك المباشر لطبيعة الله إنما يكون من نصيب المُنعم عليهم في حياة أخرى ، وإن الإنسان مهما بلغ من معرفته بالله من طريق جهده العقلي ، فانه لن يصل إلى معرفة الله في حقيقته .

(٢) إن الألوهية Theism النصرانية فيها إثارة من اللاأدرية . فانها تقول إن الإنسان له معرفة بالله ، ولكنها تنكر أن الله والعالم شيء واحد . وهي لهذا تذهب إلى أن الله مستقل عن الكون ، وإن معرفة البشر به على دوام تقديمها ، لن تصل إلى الكمال .

(٣) يعبّر « مَنَسِل » Mansel عن اللاأدرية اللاهوتية في العصور القديمة بأن الإنسان بينا هو ملزم بالاعتقاد في لانهاية الله . فانه غير قادر على إدراكها . ومن هنا تنفصل العقيدة عن المعرفة ضرورة .

(٤) إن أحدث صور اللاأدرية في اللاهوت هي الصورة التي بشر بها « ريتشل » Ritchel

وبعض أتباعه ، وتقوم على نظرية في المعرفة بنيت على بعض تفسيرات قال بها « كنت » : Kant وعلى بعض أقوال قال بها « لوتزه » : Lotze وتقضي تلك النظرية بأن الانسان لا يعرف إلا الظاهرات . وبما أن الله ليس بظاهرة ، فالانسان لا يدركه . ولذا كان من طبيعة اللاهوت ألا يتعلق في بحوثه بالأسباب الفعالة Causa efficiens ، بل يتعلق بالسبب الغائي : Causa finalis ، أي ان اللاهوت لا يعالج المعرفة بالله ، لا باعتباره موجوداً ، بل باعتباره « مثلاً خلافاً » : Attractive Ideal ، يلزم الانسان ، من طريق ذاتي صرف ، الى الاعتراف به . فالله في ذاته من الأشياء المجهولة أي التي يستعصى على الانسان معرفتها حتى من طريق الوحي القدسي ، وان معرفة الانسان به إنما تقوم على تقدير ما يدركه من قيمة صفاته ليستعين بمعرفتها على التسامي أدبياً ودينياً .

بحث موجبي : في تاريخ الفلسفة واللاهوت

التَّسْمَح — Toleration

Formerly also "Tolleration" — L. toleratio (N-) tolerare, pp. toleratus = endure, tolerate.

(١) الاعتراف بحق الحكم الذاتي ، والاقتناع الشخصي في العقائد والعبادات وما يتعلق بها (٢) ما تمنح السلطات الحاكمة في دولة من الحرية الفردية ، بحيث يتسنى للفرد أن يملن عن معتقده وآرائه الدينية ويدافع عنها وينشر تعاليمها . ويعبد ما يشاء بالطريقة التي يختارها ، وفي المكان الذي يرضيه ، ما لم يكن في عمله اعتداء أو أضرار بحقوق الغير ، أو نقض للقوانين التي تحمي الاخلاق والآداب والنظام العام ، أو أمان السلطات الحاكمة : (٣) اعتراف الدولة بالحق الذي يباشره الفرد في التمتع بما تحيظه الشرائع والتوانين والامتيازات الاجتماعية ، من غير اعتبار للفوارق الدينية

Quot., 1780-Burke-Corr. (1844) II. 369 : I have been a steady friend, since I came to the use of reason, to the cause of religious toleration.

1849-Macaulay : Hist. Eng. VI ii 9 : Locke contended that the church which taught men not to keep faith with heretics, had no claim to toleration.

الجرايميات

ونشوء الغدد الثديية

MARSUPIALIA.

and the Development of the Mammary Glands.

Etym., (L. marsupium = a pouch.) and in Gr. marsipion, also written marsippion, marsupion, dim. of marsipos, marsippos, marsupos = a pouch, bag.) -

والاصطلاح الأعجمي في اللاتينية : marsupium أي كيس أو جراب ، وأصله رومي (يوناني) . وعن معجم الحيوان للمعلوف ص ١٥٨ :

« ذات الجراب أو الكيس ، وهي أدنى من رتب الحيوانات الاسبوتة » اهـ . وفي هذه العبارة اضطراب ، سببه في الظاهر تقديم لفظ على لفظ . وتقديم هذا اللفظ يجعل اضطراب العبارة يتناول المعنى العلي ، فالجرايميات من الحيوانات الثديية (الاسبوتة على حد قوله) فقوله « أدنى من رتب الحيوانات الاسبوتة » يخرجها من الثدييات ، ولعل العبارة هي : « وهي من أدنى رتب الحيوانات الاسبوتة » . وبهذا تستقيم العبارة . وعن معجم شرف ص ٤٧٤ :

marsupial : (١) مكيس ، كيسي (٢) حيوان ثديي ذو كيس أو جيب من رتبة « المرسوبياليات » . marsupiate : كيسي ، ذو جيب في أسفل بدنه يحمل فيه صغاره . اهـ . وأردت أن أرجع بين « كيس وجيب وجراب » ، فوضح لي أن لفظ « جراب » أنسب هذه الألفاظ . فقد جاء في القاموس المحيط (٢ : ٢٤٨) ، والكيس (بالكسر) للدراهم لأنه يجمعها (ج) أكياس وكيسة . اهـ . وهذه العبارة تدل على أن الكيس خصص للدراهم ، ولا علاقة له بصفة عضوية تكون في الأحياء . ولا مانع لغويًا من نقل معناه الحقيقي الى معنى عضوي ، ولكن يحسن أن لا يكون ذلك إلا لضرورة ولا ضرورة هنا . لأن الجراب فيه هذا المعنى .

جاء في القاموس (ص ٤٥ : ١٠) : والجراب ولا يفتح ، أو لغية فيما حكاه عياض ، المزود أو الوعاء (ج) جرب وأجرة وجرب ، ووعاء الخصيتين . اهـ . فالجراب

أنسب اللقطين ، ليؤخذ منه اسم يدل على هذه القبيلة ^(١) وقد أطلق المواليديون أسماء أخرى تشمل هذه القبيلة : اللامشييميات ^(٢) ، وذوات الرحمين ^(٣) ، والأوسطيات ^(٤) .

الجرايات قبيلة من الثدييات ^(٥) يشمها شعيب ^(٦) مبي ذوات الرحمين ، ويشير الى الثدييات اللامشييمية التي يكون لها جراب أو جلبان تربي فيه الصغار أول عهدا بالحياة وليس لها مشيمة تنمو وتسقط مع الجنين ، ومدة الحمل قصيرة ، فتولد الأجنة صغيرة الحجم جداً ، ناقصة التكوين ، فقدت الحيلة ، فتنتقل بمجرد وضعها إلى الجلبان أو الجراب عند بطن الأم حيث تكون الحلمات ، فتأصق أفواهها بها لصقاً شديداً ، وتظل كذلك حتى يكتمل نمؤها بالرضاعة . فإذا بلغت الأجنة من النماء مبلغاً ما ، أمكنها في تلك الحال أن تترك الحلمات من أفواهها ، ثم تعود إليها وامتصاصها ، وكثيراً ما تعود الصغار إلى الجلبان بعد أن تكون قد تركته ودرجت إلى الأرض ، أو تشبث بأجزاء من أمهاتها لتحمامها معها حيث تذهب .

ويحسن بنا هنا أن ننقل رأي العلامة « درون » في نشوء الغدد الثديية ، فإن هذا موضع إثباته ، فقد جاء في الفصل السابع من كتاب « أصل الأنواع » ^(٧) ما يلي : « إن الغدد الثديية صفة عامة في الثدييات . وهي فوق ذلك صفة ضرورية لبقائها . ولهذا لا نشك في أنها ضربت في التطور والنشوء منذ أزمان موهلة في القدم ، ولا نستطيع أن نكتنه الآن بطريقة عملية تلك السبل التي درجت فيها الغدد الثديية ، واتخذتها للنشوء سبيلاً » .

« يتساءل مستر ميوارت » : ^(٨) — هل في استطاعتنا أن نلاحظ في نواحي الطبيعة حالة تثبت بها أن مولوداً من نتاج أي نوع من الأنواع ، قد نجح من الهلاك بأن ارتضع بالمصادفة بضع قطرات من سائل معدني ، أفرزته غدة تضخمت تحت ظاهر بشرة الأم اتفاقاً ؟ وإذا

(١) Order (٢) Implacentalia (٣) Didelphia (٤) Metatheria

(٥) Mammalia (٦) Sub-class

(٧) The Origin of Species : by means of Natural Selection or The Reservation of Favoured Reces in the Struggle for Life. London, ed. 1911.

(٨) Ms. Mivart احد الذين انتقدوا مذهب درون في الانتخاب الطبيعي

فرضنا حدوث ذلك ، فأية فرصة أو سبب وجد حينذاك ، فساعد على الاحتفاظ بمثل هذا التغير الجديد ؟

« إن هذا السؤال لم يوضح بطريقة قوية . فإن الاعتقاد السائد عند زعماء النشوءيين : Evolutionists أن الأنداء قد تأصلت عند أول نشوئها عن جراب عضوي Marsupium ، وإذا صحَّ ذلك تحقق عندنا أن الغدد الثديية قد تكونت بداءة في داخل ذلك الجراب . فالسمكة المسماة « جواد البحر » Hippocampus ينقف بيضها عن صغار يتولاها الكبار بالرباوة داخل جراب من هذا الصنف . ويعتقد مستر « لوكوود » Lockwood ، وهو من أشهر مواليدي أمريكا ، اعتماداً على ما شاهده من نماء صغار هذا السمك ، أنها تغتذي بإفرازات غدد تكونت تحت ظاهر البشرة في ذلك الجراب . فاذا رجعنا النظر كرة إلى أسلاف الثدييات وبخاصة في تلك العصور التي لم تكن قد بلغت فيها من التغير مبلغاً حقيقياً بأن يحملنا على أن نصرف عليها اسم « الثدييات » فإننا أن نرجح على الأقل ، أن تكون صغارها قد غذيت بطريقة مشابهة لهذه . وفي تلك الحال تعقب الأفراد التي تفرز من السائل ما هو أوفر غذاءً ، بحيث يكون مقارباً لتركيب اللبن الحقيقي إلى حدٍّ ما ، وعلى مرِّ الأزمان . عدداً من الأعقاب توافر غذاؤها ، أزيد مما تعقب الأفراد التي تفرز من السائل ما قلَّت فيه مادة الغذاء . ومن هنا نساق إلى القول بأن تلك الغدد الجلمدية ، تتجانس والغدد الثديية تمام التجانس . ولا بد من أن تكون قد تطورت أوصافها ، أو زادت منفعتها ، وعظم أثرها . وتلك حال تتفق وما ذكرنا من ناموس التخصص Specialisation بأن تكون بعض الغدد الموجودة في جزء خاص من ذلك الجراب ، قد أصبحت أكثر نماءً وتطوراً وتهذيباً عن بقيتها ، ومن ثمَّ تكونت ثدياً صدريةً ، كانت في مبدأ الأمر بغير حلمات ، كما نشاهد ذلك في « النُفْطير »^(١) Ornithorhynchus وهو أحط طبقات الثدييات الحية في عصرنا هذا . »

« أما الحكم في أي البواعث أو الأسباب كان من أثره أن يخص بعض الغدد للقيام بوظيفة في جزء ما من البدن دون الآخر ، فذلك ما لا أحاول أن أقضي فيه بحكم ، ألتأثير التَّحَاوُض في النماء أعزوه ، أم لمؤثرات الاستعمال ، أم لفعل الانتخاب الطبيعي ؟ »

« ولا مشاحة في أن تأصل الغدد الثديية قد يصبح معدوم النفع عاقل الفائدة ، وما كان

(١) حيوان ثديي يبوض له منقار البط ، وأقدامه مفشاة كأقدام طير الماء . وهو الحيوان الثديي الوحيد الذي يلقي بيضاً كالطير والزواحف ويرضع صغاره .

للاتخاب الطبيعي أن يبلغ منه بأثر ، اذا لم يكن في صغار الحيوانات من الاستعداد الفطري ما يسوقها الى الانتفاع بما تفرز الغدد من السائل المغذي . واست أجد صعوبات في بحث الدوافع التي ألجأت ولائد الثدييات الى ارتضاع ندي أمهاتها ، تفوق الصعاب التي تعترضها إذا ما أمعنا في بحث ذلك المؤثر الخفي الذي يدفع الفرخ الى كسر قيص^(١) البيضه بأن يمسهها مساً لطيفاً بطرف منقاره المهيأ كل التهيئة للقيام بهذه الوظيفة ، أو كيف ان الفرخ بعد أن تنقف عنه البيضة ببضع ساعات ، تراه قد فقه طريقة الالتقاط بمنقاره ؟ وأرى أن أقرب فكرة توصلنا الى حل هذه المعضلة تنحصر في القول بأن هذه العادة قد اكتسبت بالتجربة بداءة ذي بدء منذ عصور موعلة في القدم ، ومن ثمت انتقلت العادة من الأسلاف الى الأخلاف منذ أزمان متطاولة .

« ويقال إن صغار الجرايات مثل « الكنغر » Kangaro : لا ترضع ندي أمهاتها امتصاصاً ، بل تكفي بأن تثبت أفواهها في حلبة الثدي ، في حين تكون الأم قادرة على أن تصب فرز ثديها صلباً في فم رضيعها ، لأنه يكون في ذلك الطور ناقص التكوين ، فاقد الحيلة » ويلاحظ مستر « ميوارت » : أنه إذا عدت الولائد وسيلة تزرد بها طعامها . فانها لا محالة تستنكر اذ ذاك أن يجري شيء من اللبن في الرغامى (قضية الهواء) التي تنفّس منها . غير أننا نعر مع البحث على وسيلة عامة تحل محل الوسيلة الخاصة ، وتقوم مقامها . فن الحلقوم Larynx يكون في مثل تلك الحال ذا استطالة ، حتى أنه يستقيم في امتداده الى منتهى الحد الظاهر من قناة الأنف ، وبذلك لا يعوق الهواء عن الوصول الى الرئة عند الرضاعة . ذلك في حين أن اللبن يندفق من غير أن يحدث أي ضرر بالرضيع ، ماراً بجاني الحلقوم على استطالته ، ومن ثمت يبلغ الى فوهة المرء Gullet أي مجرى الغذاء والماء .

« ويتساءل بعد ذلك مستر « ميوارت » : كيف يستطيع الانتخاب الطبيعي أن يزيل من الكنغر البالغ ، بل ومن الثدييات كافة ، على اعتبارها متسلسلة عن حلقة قديمة من الجرايات ذلك التركيب الساذج على بعده عن أن يحدث ضرراً ماً .

« وندفع هذا الاعتراض بأن الصوت ، وهو أداة ذات شأن كبير في حياة الثدييات ، قد يصعب استخدامه بحرية تامة ، مادام الحلقوم ممتداً الى مستوى قناة الأنف . ولقد ذكر الأستاذ « فلاور » أن هذا التركيب ، لا بد من أن يشابه بعض المؤثرات ، وبخاصة في الحيوانات التي تغتذى بمواد فيها تماسك وصلابة

الفيتامين و الهرمون

او صفحة من الاشتراكية التعاونية في الأبدان الحية



بحث الهرمونات والفيتامينات فتح جديد من فتوحات الطب لا تزال معارفنا فيه
مهوشة ناقصة والكشوف فيه مستمرة والآمال عليه معقودة .

هو بحث يتصل بسر الحياة الخلوية وتطور الأحياء النباتية والحيوانية واتزان والنسجام
أعمالها ، فهو إذاً بحث يجمع الفلسفة الى الطب العملي السريري . يقول براسلس إن في جسم
الانسان صيدلية خفية وطبيباً متوارياً عن العيون يصنع الأدوية ويصفها ويستعملها بحسب
ما تقتضي الحال . ولو لم يخلق الله تلك الصيدلية وهذا الطبيب ، لما أجدت مساعي جميع الأطباء
معاً وأعجز أي مخلوق على البسيطة عن الحياة . فهذه الصيدلية العجيبة هي الموضوع المتشعب
المتصل بالحياة وبمستقبل الطب الذي سأحاول أن استعرض أهمية دراسته واستقصائه .

الهرمونات والفيتامينات أجسام لها في البدن أعظم الأثر رغم وجودها بكميات ضئيلة
فيه . وقد كان تفريق هذين الصنفين ولید الظروف التي كشف بها عن كل منها ، فقد فتش
الاحيائيون عن المواد الضرورية لدوام الحياة فتوصلوا لكشف الفيتامينات ومن جهة
أخرى فكر الغرائزيون « الفيزيولوجيون » في دراسة وظائف الغدد العظمى ، فوصلوا الى
الهرمونات التي تنظم المبادلات الحيوية في البدن . وقد قال بفكره القرابة بين هذين
الصنفين هُـبـكـنـز . فذكر ان هناك هرمونات خارجية الفيتامينات وأخرى داخلية .

فما هو الهرمون وما هو الفيتامين ؟ الفيتامينات مواد ضرورية للبدن لضمان نموه
ولاحتفاظ النسيج والأعضاء بنشاطها الطبيعي والبدن عاجز عن صنع هذه المواد بنفسه ، فلا بد
له من استيرادها من المحيط الخارجي ، وبخاصة من المملكة النباتية الغنية بها .

أما الهرمونات فهي مواد ضرورية أيضاً لتضمن قيام كل من الأعضاء بوظائفها وليقوم
توازن والنسجام بين هذه الوظائف ، يصنعها البدن ويقوم بذلك غالباً الغدد الصم . فالصفة
الجامعة بين هذين الصنفين انها تؤثر بمقادير ضئيلة جداً ، وانها ضرورية لا يستغنى البدن عنها
وفقـدـانـها يعرضه لأمراض الحرمان من الفيتامينات أو أعراض نقص الوظيفة في
الهرمونات ، وتشفي جميع هذه العوارض بادخال هذه المواد في البدن المحروم منها . يقال لالتفريق
بين الفيتامينات والهرمونات أن مصدر الأولى أبدان الحيوانات ، بينما يعتمد الحيوان على ما تصنعه

النباتات من الثانية ليضمن حاجته منها . ان هذا الفارق غير موجود . فبعض الهرمونات توجد في المملكة النباتية كالجرايين ، الهرمون النسائي الثابت وجوده في أنواع من الفحم الحجري « Hanille, lignite, Tourbe » كما أمكن تحضير اللوتين وهو هرمون من ستروك نباتي Stigmaterol وبالمقابل فإن لبعض الفيتامينات مصادر حيوانية كالخليب والزبدة والشحوم الحيوانية وكبد السمك . على أننا يجب أن نذكر بأن هذه الحيوانات اخترت كميات كبيرة من هذه الفيتامينات من النباتات التي تتغذى بها . ثم ان بعض الفيتامينات هي هرمونات بالنسبة لبعض الحيوانات وفيتامينات بالنسبة للآخرين . فالقار والجمام تصنع في أبدانها الفيتامين . فهر بالنسبة لها هرمون بينما هو فيتامين بالنسبة للآخرين .

أما الفوارق الأخرى التي يقال بوجودها بين الفيتامينات والهرمونات فلا أساس لها أيضاً . فقد قيل بأن الهرمونات تحدث تسمماً وعوارض خطيرة في البدن إذا دخلت اليه بمقادير زائدة، ولا يحدث شيء من ذلك، ولو دخل الفيتامين بمقادير كبيرة . وعلة هذا الفارق طريقة دخول أو تحضير هذه المواد الضرورية التي لا غنى للبدن عنها . فليس للفيتامينات مقادير محددة لأن الجسم الحيواني يعتمد على الوارد اليه مع الغذاء فيضطر اذا دخلت الى أنبوب الهضم كمية كبيرة من الفيتامين أن يدخرها البدن ليستعملها أيام الحرمان بينما لا يصنع البدن من الهرمونات إلا بقدر الحاجة اليها . وما سبب التسمم المعروف عند اعطاء كميات زائدة من فيتامين D إلا أن هذا الفيتامين هو هرمون أيضاً . فإن البدن الانساني قادر على تركيبه في ستروك الجلد بمواجهة أشعة الشمس أو يكون سبب التسمم فيه أحياناً المحضرات المركبة لهذا الفيتامين .

ثم ان الهرمونات تقصد بتأثير العصارات الهاضمة بينما الطريق الطبيعي لأخذ الفيتامين هو أنبوب الهضم . فالفيتامينات والهرمونات إذا أجسام تؤثر بكمياتها الضئيلة تأثراً واحداً غاية حفظ توازن الوظائف العضوية المختلفة .

إن عمل الفيتامينات والهرمونات في داخل البدن وآثارها فيه . لوحة بديعة تمثل الحياة في مدها وجزرها، في ليالها ونهارها، في حياتها وموتها . فهذه المواد الضئيلة الكمية العظيمة الأثر تتضاد وتتساند بعضها مع بعض في سبيل غاية واحدة هي إطراد النمو وإبقاء الجنس وحفظ الشخص ولها الأثر الكبير في نقل الصفات الخلقية والنفسانية والسيطرة على الأمزجة .

والواقع أن الجزء الفرد من الجسم الحيواني وهو كل خلية من خلاياه يعيش على حساب طوائف من الجهود يقوم بها آلاف بل ملايين من الخلايا الأخرى . فالجسم الحيواني جيش لجب من الخلايا في كل منها حركة دائمة لا تقف ولا تكسل . والحياة هدم وبناء وأخذ وعطاء وصعود وهبوط في صلب هذه الخلايا . ولا تقف هذه الحركة المستمرة إلا بوقوف الحياة

وانطفاء شعلتها . والخلايا تعجز عن القيام بأعباء هذه الأعمال الجسام بغير معونة هذه المواد الضئيلة الكمية العظيمة الأثر في تسهيل التغذية والتنفس الخلويين . فقوام حياة الخلية إذاً وبالآخرى بقاء الحياة الحيوانية مدين إلى وجود القدر الكافي من هذه المواد الواردة مع الغذاء أو التي تصنعها خلايا أخرى في البدن . فالحياة في البدن اشتراكية تعاونية منظمة يتأثر كل فرد منها . أي كل خلية من اضطراب عمل أو حياة الآخرين .

تقسم حياة الانسان أقساماً ثلاثة : عضوية وحيوانية وفكرية . والفكر البشري المبدع عاجز عن إقامة حدود صريحة بين أشكال الحياة الثلاث ، فالاستقلال لاحقيقة له في الحياة ، بل ان الصلات بين الأعضاء والوظائف المختلفة المظاهر صميمي وثيق .

وهذه المواد الضئيلة الكمية العظيمة الأثر وهي التي تكفل تنظيم حيوية البدن ونشاط وظائفه العديدة، تتأثر وتتوثر في الجملة النباتية وأعصابها المتشعبة في جميع أنحاء الجسم المسماة بأعصاب الحياة لخطورة العمل الموكول إليها . تتأثر وتتوثر هذه الجملة النباتية التي لم يعرف العلم والعماء حتى الآن إلا طرفاً يسيراً عن أعمالها المعقدة المتشابكة المتضاربة المظاهر ، تتسلط هذه المواد الضئيلة الكمية العظيمة الأثر على أعمال هذه الجملة وتتأثر منها أيضاً . ويتحكم هذا المجموع غدد صم هرمونات وفيتامينات جملة نباتية في بناء الجسم البشري وإطراد نموه وحسن تغذيته ودفاعه ودوام حياته وعلاقاته الجنسية وبقاء نوعه وترائه إلى أولاده وأحفاده فهو يحفظ الفرد ، ويعمل على حفظ الجنس أيضاً .

قد يتبادر للفكر أن هذه الوظائف المختلفة المتشعبة لا يمكن أن تنتظم إلا بتخصص الأعضاء أو الخلايا وتفرغها للعمل في سبيل ذلك . لقد عمد الانسان في سبيل زيادة الانتاج وتحسينه إلى التخصص والتفرغ لأعمال محدودة ليتمكن من انتاج أكبر قدر ممكن بأقل جهد مستطاع ، وقد توفى إلى ذلك بمعونة الآلة التي خلقها فعبدها وهذا هو مبعث فخار مدنيتنا ، أما الطبيعة ، والحياة صفحة من صفحاتها ، فانها تسخر من ذلك . فليس للقوانين الرياضية ولا لقواعد الهندسة وجود فيها . فالخط المستقيم والخطوط المتوازية والتناظر وما الى ذلك ، كلها من خلق الانسان الذي يريد أن يقيم مقاييسه هذه طريقة لفهم أسرار الحياة . وقد اعتاد الفكر الانساني الدقة والضبط في الرياضيات وأعجبه ذلك ، فعجز عن استقصاء الحياة وفهم أسرارها إذ حاول أن يطبق عليها قواعد علومه التي ابتدعها ومقاييسه التي ظن أنها صالحة لكل شيء . يقوم على تنظيم الحياة في الأبدان الحيوانية عوامل تتضارب أو تتساند ، ولكنها تصل في النهاية إلى بغيتها الأساسية فتضادها فيه تعاضد ، وعداؤها فيه صداقة وهدفها واحد هو الابقاء على الفرد والدفاع والحفاظ على الجنس .

فمنظم سكر الدم وثباته يعتمد على الوارد الغذائي . ومولد السكر الكبدي Glycogène

والعضلي ثم استهلاك السكر بتأثير الأنسولين البانكرآس الذي يعاكسه الادرينالين الكظري *surrénale* وينشط المفرز البانكرآسي النخامة *Hypophyse* التي تنشط أيضاً الكظر ويساند الكظر الدرق *thyroide* وينشط الجميع النخامة أيضاً. فهكذا نرى في البدن أخذ وعطاء زيادة ونقصان وتضارب وتساند وتثبيط وتنشيط والغاية من جميع ذلك جعل السكر الدموي ثابتاً وهو ثابت عند الشخص الصحيح رغم اختلاف الوارد واختلاف الاستهلاك.

كذلك يعمل التيروكسين ضد الفيتامين A والفيتامين C بينما يتساند الأنسولين مع الفيتامين B و C على استقلاب مائة الفصح، يساعد الفيتامين B₂ والفيتامين A مفرز النخامة ليمتص الجسم الأنساني بينما يعمل الفيتامين A كمنشط لافراز الهورمون النخامي المنشط للدرق، وينشط الفيتامين C افراز الهرمون القشري للكظر وهذا يؤثر بدوره مبعداً للدرق أيضاً.

تقع الأعضاء التي تشرف على هذا التنظيم البديع المعقد في مواضع بعيد بعضها عن بعض وبعيدة في مواقعها التشريحية عن الأعضاء والوظائف التي تؤثر بها. فالنخامة في قاع القحف تتسلط على نمو الهيكل العظمي، ونقص العظام *moelle osseuse* يتسلط على كريات الدم الحمر ونظائر الدرق *para-thyroide* خلف الرغامي على تسكس العظام والفيتامين B في قشور الحبوب التي نهملها والفيتامين A في الاقسام الملونة من النباتات التي نقتطعها، جميعها لها الاثر الكبير في نمو الجسم الانساني.

فلا تصنيف ولا مراتب في المواضع ولا تناسب بين أهمية العضو أو حجمه والعمل الموكل اليه، ولا طبقات ولا امتيازات بين الأعضاء ولا خلايا. فان القشر والنفاية والخلية الصغيرة من الجسم الحي والحميرة الحقيمة في التراب أو الهواء، كلها ضرورية وكلها مساوية أمام العمل الذي تسعى جميعها الى أدائه فلا سيد ولا مسود. ولكنها الحياة تتطلب أن يعمل كل في سبيل نفسه وفي سبيل المجموع لبقاء الحياة على وجه البسيطة.

ومن المؤكد أنه لو عهد الى الانسان صنع الجسم البشري وبنائه، فان فكرته الهندسية تقضي بأن يجمع الوظائف المتشابهة فيصنفها في جهات مختصة علوية وسفلية. أما الحياة فانها تبعثر أعمالها وتجعلها متضاربة التأثير. فمفرز يحرص، وآخر راض لئلا يستأثر البعض بالكل. فاذا تجاوز مفرز الحدود المرسومة، قام غيره يعدل أثره. وان قصر قام من ينوب عنه أو يسانده وهي تعمل جميعاً عملاً تعاونياً اشتراكياً في سبيل الخير العام. تلك هي الديمقراطية المثالية. وتلك هي روح التعاون الوثيق السكامل في سبيل الأبقاء للحياة.

واذا تتبعنا سيرة المدنية التي نفاخر بها أمماً بشرية دراسة أو أمماً حيوانية عجم لاحظنا جلياً خطئ الرأي البشري في السعي لتحرر من الطبيعة. إذ ينسى الانسان أبداً أنه خلق من

خلائها تتمثل به صفحة من صفحات الحياة التي يعج بها هذا الكون. فقد فكر الغرائزيون بأن قيمة الغذاء تنحصر في ما يولد من قدرة وزعموا أن نظريات الاحتراق في آلات البشر الميكانيكية يمكن تطبيقها على أعمال الجسم الحي فشبها وما يحدث في أنبوب الهضم من أعمال كيميائية بما يشاهد في أنابيب التجربة في المخابر. ثم انتشر في حينه الذعر من الجرائم بعد أن كشف باستور عنها. فقال تلامذه بأن الغذاء الصحيح هو الغذاء العقيم النقي كيويًا فانتشرت صناعة الأطعمة المحفوظة وانتشر استعمال الخبز الأبيض والحبوب المتشورة والسكر الأبيض النقي والأثمار المطبوخة، وأهملت الخضرة والفواكه لأنها لا تولد في أنابيب التجربة كميات كبيرة من الحرور. فكان من نتيجة هذا التكلف وانتفن في الغذاء أن ظهرت أمراض الحرمان من الفيتامينات التي لم تكن معروفة قبل ذلك داء الحفر scorbout، البلاغرا، البري بري... اهـ. وكثرت معها حوادث الداء السكري وعسرات الهضم المختلفة بسبب الاقبال الشديد على استهلاك ماءات الفحم وقود الآلة الانسية، وانتشر الرخيطس وعوارض توقف النمو والذنف كل ذلك بسبب اضطراب التوازن الغذائي، فالذي أودع الروح في الجسد جعل النشاء في لب الحبوب والفيتامينات الضرورية في قشورها وليست الحياة إلا تبادل بين المملكتين الحيوانية والنباتية. فالإنسان عاجز عن أن يتحرر من عوزة إلى أصغر الأحياء وأحقرها الجرائم والثمار. وهو عاجز عن التحرر من حاجة النبات. وقد قيل أن لا حياة في مكان لا ينبت فيه العشب.

فلولا طحالب البحار لما قدرت أمتنا المحيطات أن تحتزن في أ كبادها فيتامينات A و B ولولا هذه الفيتامينات المختزنة في أ كباد الحوت، لما تيسرت الحياة طويلا سكان المناطق الباردة الشمالية المحرومة من نور الشمس، ينبوع القدرة والحياة في عالمنا الأرضي.

ولم يعرف سكان المناطق القطبية الرخيطس إلا بعد أن استبدلوا لحوم الأمتنا وزيتونها غذاءهم الطبيعي الذي كانوا يعتمدون عليه عندما كانوا بعيدين عن العمران، بالمقدرات والأطعمة المحفوظة التي حملتها اليهم المدنية مع ضرورها ومفاسدها ومباهجها أيضاً.

وقد اضطرت آلة المدنية الإنسان لسعي في الليل والنهار يكثر من العمل والسموم الحادة الكحول والتبغ ويقل من الغذاء الصحي الذي يتطلب وقتاً لتحضيره ومضغه وهضمه مندفعاً في هذا التيار الجارف تيار المزاحمة والحسد والتنافس، فعرف القرن العشرون أمراضاً لم تعهد من قبل. فإن إنسان اليوم في حالة تعبئة دائمة وسلم مسلح، أعصابه متوترة مستعدة دائماً لكل مفاجأة، فكان من ذلك فرط التوتر الشرياني بسبب إفراز الأدرينالين المستمر. فقد كان الإنسان القديم إذا تعرض لخطر فأفرز كظفه هذا الهرمون الضروري لتعبئة قوى البدن على وجه السرعة، تنقبض عروق الجلد لتمنع نزف الدم إذا جرح، ويرتفع سكر الدم لتجد العضلات كفايتها منه عند الحركة، وينشط القلب ليحتمل عبء العمل

المقبل عليه ، فتتعدل السموم العضلية الحادثة بعد التعب ويحول هذا التوتر العصبي المؤقت ، بعد أن يهاجم الإنسان خصمه فيصره أو يتفاداه . أما رجل المدينة الحاضرة فحياته كلها مفاجآت وكفاح وتعبئة مستمرة لا سبيل إلى تخفيف حدتها كالمزجل يغلي ولا سدادة للأمان . فان قيام الرجل الابتدائي بالعمل بعد الاستعداد له يفرج الأزمة ويزيل التوتر ، وتقضي حياتنا المدنية أن يكظم الإنسان غيظه وفي ذلك ارهاق للأعصاب يتعرض المرء بسببه إلى فرط التوتر المستمر أو الاشتداد وعواقبه الخطرة . أو إلى عسرات الهضم باضطراب المفرز المعدي لإهمال الراحة والتلذذ بالطعام وللإصابة بقرحات المعدة الناشئة عنها . كما وقد انتشر السل والسرطان والآفات العصبية النفسانية أو بالحملات الراضية Virus filtrates انتشاراً يهدد المدينة الحاضرة التي تفخر وتفاخر بها ، بالانتحار والاندثار .

إن للخمسين طناً من الطعام التي يتناولها الإنسان مدى حياته المتوسطة ، أثر كبير في صحته وطباعه وخلقه . وقد أثبت العلم أن في استطاعة الباحث أن يطيل عمر الجرذان ويجعلها أكبر وأقوى إذا أشرف على تغذيتها على نحو معين . وإن لمفرزات الغدد الصم أثر في طول المرء وقصره ، وفي أخلاقه وسلوكه ، في شبابه وشيخوخته . في أنوثته ورجولته ، حتى العجز والشجاعة أثر من آثارها . يقول أحد الحكماء إن الموت يدخل من الفهم فلندخل إلى أبداننا الصحة والسعادة بتنظيم الغذاء وتنويعه . فان الجوع أو الحرمان من بعض الأغذية الضرورية لا يزال يقضي على أكبر عدد من سكان هذا الكوكب السيار . ولا يدرس الإنسان بتحليل أعضائه ودراسة أجزائه . فان التشريح والنسج والغرائز أضاعت على الطبيب صورة البشر الكامل . فليس الجسم الإنساني آلة تتألف أجزاؤها من الأعضاء التي تصفها لنا هذه العلوم أحسن وصف وأدق ، فيجب الرجوع إلى دراسة الجنس البشري كجموعة لا انفصام لها ، فليست الأمراض جميعاً جرثومية ، وليس الجرثوم كل شيء في المرض . فان دفاع البدن وتفاعلاته المختلفة باختلاف الأشخاص واختلاف أمزجتهم وعواملهم النفسانية أي تربة المريض وبناء جسمه وغذائه كلها عوامل ذات أثر فعال في تكيف المرض واختلاف ظواهره . فالتناس لا يتشابهون في وجودهم ولا قاماتهم ولا أخلاقهم ولا في أمراضهم أيضاً .

وصحة الغدد الصم أساس لصحة الجسم والغذاء المنوع الطبيعي ضروري لاطراد نمو البدن وازدان تفاعلاته . فالمراد والقرم والمرأة الحساسة والرجل الغليظ والبنات السمينة والجاحظ العنيد والمنتفخ الأوداج والأبله والعصبي والنحيل والمقعد والعبقري أيضاً ، كل هؤلاء نتيجة تركيب غير سوي في غدهم الصم أو اضطراب عميق في تغذيتهم وطرز حياتهم . فالحياة فن لا يتقنه إلا القليلون .

دكتور بيسر العظم

رئيس السريريات الطبية في معهد الطب بدمشق

من أنواع النبات الطبي

١ — *البسنوج* (سهنالي معرب) شجرة من اليتوجيات تنبت في جنوب آسيا اسمها النباتي *Tylophra asthmatica* وبالانكليزية *Bourbon scammony* وبالفرنسية *asclépiade asthmatique* جذورها فيها خواص مقيئة ومعرقة ومنقثة وتعوض عرق الذهب (الايكا كوانا) ينفع في الدوسنطاريا ويدخن بأوراقها لتسكين الربو . ويستخلص منها شبه قلوي يسمى « تيلوفورين » يستعمل في الطب مقيئاً .

٢ — *البوتبهلة* (سنسكريتي معرب) اسم نبات من القطنيات (القرنيات) سنوي ينبت في الهند بالمناطق الجافة ويتردد ارتفاعه بين قدم وثلاث أقدام . اسمها النباتي *Psoralea corylifolia* وبالانكليزية *bawchee seed plant* وبالفرنسية *dartier de Pondichéri* يستعمل الزيت الراتنجي للبذور ضد الجذام وداء الفيل وأمراض الجلد المختلفة وبالأخص الطفححات الزهرية .

٣ — *البُنْقَة* (طاملي معرب) شجرة كبيرة ظريفة من القطنيات (القرنيات) تنبت في الهند والصين وأستراليا . أوراقها ريشية لامعات وحملها عناقيد من أزهار بيض تضرب الى لون القشدة طيبة الرائحة . اسمها النباتي *Pongamia glabra* وبالانكليزية *Indian Beech* وبالفرنسية *arbre de pongolate* تستعمل عصارة جذورها علاجاً للقروح ولتنظيف الأسنان وتقوية اللثة وزيتها يستعمل ضد الجرب والهربس والأمراض الجلدية الأخرى والروماتزم .

٤ — *النَّوْطَم* (برازيلي معرب) شجرة من الستروكوليات تنبت في الأنتيل والبرازيل . اسمها النباتي *Guazuma ulmifolia* وبالانكليزية *bastard cedar* وبالفرنسية *cèdre de la Jamaïque; orme d'Amérique* وهو قابض غروي بحالة شراب يستعمل في الحميات الحارة وهو منق في الأمراض الجلدية . وفي بلاد البرازيل يستعمل مقوياً للجروح والقروح .

٥ — *الحشيش الالهسي* : نبات من الفصيلة المركبة ينبت في المناطق الحارة بالشرق اسمها النباتي *Siegesbeckia orientalis* وبالفرنسية *herbe divine* وهو منوع منق في أعلى درجة كثير النجاح في معالجة القوب والقروح ويستعمل من الباطن مضاداً للداء الزهري وأمراض الجهاز التناسلي البولي . ومن الظاهر ضد الهربس والسعفة وهو معرّق أيضاً .

محمود مصطفى الرميحاني



مكتبة المقتطف

الاداة الحكومية

تأليف ابراهيم مذكور ومريت غالي ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير
نشرته دار الفصول للنشر بالقاهرة : ١٩٤٥

أول كتاب من نوعه في معالجة الأمراض التي نشكو منها في الاداة الحكومية . وقد نزع مؤلفاه الفاضلان نزعة وطنية صرفة ، وأضفيا على الكتاب روحاً مستقلة كل الاستقلال فبدت في صفحات الكتاب جليسة واضحة قوية ، وأخرجاه صورة واضحة للتفكير السياسي الناضج . وهذا الكتاب على أن له قيمة كبيرة من هذه الناحية ففيه ناحية أخرى لا تقل عن هذه قدراً وقيمة ، تلك ناحية الأسلوب . فصفحات الكتاب مجلوة في أسلوب سهل مفهوم بعيد عن النظريات السياسية ، التي تتناول تلك التعميمات الواسعة في علم الاجتماع . فتراه مصرياً عظماً ولحمياً ودماً . تناول الكتاب أخص مشكلاتنا السياسية خلالها وشرحها وعطف على المشكلات الدستورية فأبان عن سواها الجملي وتناول الأحزاب والادارة والنظام الوزاري . كل هذا في سوق نقدي هادئ أساسه المنطق المقتطع من الأحداث التي مرت بنا منذ اعلان الدستور وقيام النظام الديمقراطي في بلادنا . ولم يقتصر الكتاب على هذا . بل لقد تناول المؤلفان وصف الدواء ولم يقتصرا على وصف الداء ، ووضعوا القواعد العامة التي يمكن أن يقوم عليها أساس دستوري يضمن لنا شيئاً من الاستقرار ، وشيئاً كثيراً من فرص التقدم نحو مثاليات عليا .

من الأمثال التي نضربها على ما نقول ما ذكر المؤلفان في ص ١٠٨ من الكتاب في ضرورة تأليف مجلس الدولة ليتم لنا به القدرة على السير بتشريعاتنا سيراً حثيثاً نعالج به مختلف الشؤون الحيوية للبلاد : قالوا : « إن الآلة البرلمانية في بلادنا تنقصها قطعة — وقطعة

هامة — يتوقف عليها سير العمل وكال انتاجه . وليست هذه القطعة شيئاً آخر سوى مجلس الدولة الذي سنتحدث عنه في تفاصيله بعد قليل . ويكفي أن نشير الآن الى أن هذا المجلس هو الكفيل وحده بأن يغذي البرلمان بالمادة التشريعية الضرورية غذاءً صالحاً ومستمرّاً ، فيخرج تشريعنا من بطئه وجوده ، ويستكمل بحثه وتمحيصه ، ويحكم صياغته ويوفر له ما هو في حاجة اليه من تناسق وانسجام .

وتناولوا الحزبية فقالوا : « وبقيننا أن أحزابنا يوم أن تعتمد على برامج ثابتة وخطط واضحة ، ستقتضي على كثير من الفوارق الشخصية التي تفصل بينها اليوم . وعلى كل حال يحتاج النظام النيابي لكي يسير سيراً مجدياً الى حزين رئيسيين ، يتبادلان الحكم فيما بينهما ، ويشرف كل واحد منهما على الآخر ويراقبه مراقبة نزيهة فعالة » .

وعلى هذه الوثيرة سار المؤلفان في الوزارة والعمل والتوجيه والنظام الإداري والموظفين والقضاء . والكتاب في جملته قطعة فنية فقهية رائعة ينبغي أن يقف على روحها كل مصري في هذا العصر .

مشكلة البطالة

تأليف حسين حمدي عضو مكتب البحوث الفنية في وزارة الشؤون الاجتماعية ،

نشرته مكتبة النهضة المصرية ٤٣٢ صفحة من القطع الاوسط — ١٩٤٤

لا ريباً مطلقاً في أن مشكلة التعطل هي أعظم مشكلات العالم كله ، ويهمننا من العالم أول ما يهمننا مصر بالذات . كانت هذه المشكلة شغل المصلحين والسواس قبل الحرب ، ومتصباح شغلهم بعد الحرب . وقد عالج المؤلف في هذا الكتاب المشكلة من وجهة النظر المصرية فعمد الى شرح التعطل وتاريخه والأسباب التي تؤدي اليه والوسائل العامة في علاجه . كل هذا ليمهد لموضوعه فأجاد المدخل ، فأهله ذلك الى الاجادة في الموضوع . وقد شرح الجهود التي بذلتها الأمم الأخرى في مكافحة هذا المرض الاجتماعي الويل وتناول ما بذلته أمريكا وإنجلترا وألمانيا والسويد وروسيا ، ثم عطف الى مصر وحلل أسباب البطالة فيها ووصف الطرق التي تستطيع بها مصر أن تسكفح هذا الداء ، والنظم التي ينبغي أن تسير وجوه الإصلاح ليكفل لسكل مصري العمل اللائق بمركزه الاجتماعي ، ويضمن له ولائحته حياة مستقرة هي في الواقع أساس الانتاج وأساس الحضارة .

ابن باجة

تأليف عمر فروخ : دراسات قصيرة في الادب والتاريخ والفلسفة

طبع بيروت ٥٨ صفحة من القطع الاوسط : ١٩٤٥

ابن باجة من الفلاسفة الذين لم يدرسوا الدرس الكافي بعد . شأنه في ذلك شأن رفيقه ابن طفيل . وقد عدد المؤلف المصادر التي رجع اليها في تأليف رسالته فدلّ بذلك على الطريق التي يمكن لمن يريد أن يتوسع في الدراسة سلوكه اذا أراد . ومن أهم هذه المصادر مجموعة رسائل لابن باجة مخطوطة في مكتبة برلين العامة رقم ٥٠٦٠ ، ولا نعرف الآن ماذا فعلت هذه الحرب بها . وقد تكلم المؤلف في المغرب ومعالم تاريخه ثم في انتقال الفلسفة اليه ، وعقب على ذلك بترجمة لابن باجة وتكلم في فنه وخصائصه العامة ووصف كتبه وبسط فلسفته بسطاً سهلاً مقبولاً ثم نقل نماذج من فلسفته . فهذه الرسالة على صغرها كبيرة القيمة لمن يعنون بدراس آثار العرب وفنونهم وبخاصة ناحيتهم الفلسفية ، وهي من أحق النواحي بالدراسات المستفيضة .

رفاعة الطهطاوي

من سلسلة أعلام الاسلام تأليف جمال الدين الشال نشرته لجنة دائرة المعارف الاسلامية

١٣٦ صفحة من القطع الصغير : القاهرة ١٩٤٥

هذا الكتاب بالرغم مما بذل فيه من مجهود كبير ظاهر في صفحاته ، يدل دلالة واضحة على ان تاريخنا القريب ، ونقصد به تاريخ النهضة العلوية يكاد يكون مفقوداً ، فلا تعثر فيه على غير مزق ورقع ، قلما تخرج منها صورة كاملة لرجل من رجال ذلك العصر . ويكفي أن نعرف أن أرمنيّاً كان يوماً ما وزيراً لمعارف مصر في عهد الاحتلال الانجليزي فأمر ببيع مخازن الكتب المترجمة والمؤلفة في عصر محمد علي فبيعت بالجملة لبعض الوراقين الجهلاء فأرسلوها أباديد .

واقصد تتابع المؤلف حياة رفاعة الطهطاوي منذ أن نشأ الى أن أرسل مع البعث الاول الذي أوفده محمد علي للتعليم في فرنسا إماماً يفقه الطلاب في أمر دينهم ويذكرهم بالاسلام في بلاد الاعجام ، الى أن نبغ وبرز في العلوم والترجمة ، فأسدى بذلك للتاريخ المصري والادب الحديث يداً لا تنسى وأحيا من ذكر رجل وقف حياته كلها على العلم وعلى مدّ آفاق العربية سنين طوالاً .

أبو حنيفة

بطل الحرية والتسامح في الاسلام

تأليف عبد الحليم الجندي المحامي بأقسام قضايا الحكومة ٢٢٠ صفحة من القطع الكبير
نشرته دار سعد مصر بالقاهرة : ١٩٤٥

لا أستطيع أن أحكم إذا كان كتاب المقالة القصيرة في انجلترا هم الذين نهضوا بالأدب الانجليزي الحديث أم كتاب التراجم . على أي لا أكاد أتصور الحالة التي يكون عليها أدب هذا الشعب العظيم إذا أخرجنا منه تراجم عظمائه التي خطتها يراعة النابغين من كتّابه . كلما فكرت في هذا ماورثني فكرة في ما سوف يكون عليه أدبنا العربي إذا تمت الترجمة لرجال العرب على الصورة التي ترجم بها رجال الانجليز . وفي رجال العرب عشرات هم الى جانب العظمة أدنى من كثير من رجال الانجليز الذين ترجم لهم بأسهاب وترك رجالنا نسياناً منسياً وسيرهم أشتات في بطون الكتب لا تكاد تقع طرف من سيرة أحدهم حتى ينتقل بك مؤلفه الى شيء آخر لا يمت إليه شيء إلا كما يمت سهيل للثريا . والترجمة لأبي حنيفة إمام الاسلام وصاحب القياس وبطل الحرية الفكرية إحدى الحلقات التي تنقص أدبنا العربي الصميم . ولقد مضى المؤلف الفاضل في ترجمته لرجل الاسلام العظيم مُضَيَّ الكاتب المرن الحاذق فعالج موضوعه معالجة العارف بدقائقه وتفصيله ، وبأسلوب سهل رقيق ، أعانه على التصوير فهو قوي متدفق حيث يقتضي الموقف القوة والتدفق ، لين مرن حيث يقتضي الموقف اللين والمرونة . هذا ما جعل الكتاب قطعة فنية من أدبنا الحديث .

إيليا أبو ماضي

والحركة الأدبية في المهجر

تأليف نجدة فتحي صفوت : أول كتاب من سلسلة الشعراء المعاصرين
٩٦ صفحة من القطع الاصغر : طبع ببناد : ١٩٤٥

الشاعر إيليا أبو ماضي من شعراء التجديد المحدثين له روح في الشعر خاصة به وأسلوب إن اشترك فيه كثير من شعراء هذا العصر إلا أن روح هذا الشاعر تغلب أسلوبه دائماً . فهي تشيع في شعره وتدفع أسلوبه بطابعها ، فأسلوبه إذن مستمد من روحه . وهذا قليل في الشعراء . فإن الكثير منهم من يغلب أسلوبه روحه ، فتذيع في شعره صفة الصناعة ، صناعة النظم ، لا روح الشعر .

ولقد قدم للكتاب صديقنا الأديب الأستاذ روفائيل بطي صاحب جريدة البلاد ببغداد فكانت هذه المقدمة خير تعريف بالشاعر الكبير . وتناول المؤلف بعد ذلك أدب أبناء العروبة في مهجرهم فحسب أنه أحسن تحليل وأبان عن مزاياه وعن نواحي التجديد فيه ، وعطف

الى جماعة الرابطة القلمية ومضى في تحليل شعر أبي ماضي من دواوينه الكثيرة وختم الكتاب بنص كامل « للقصيد » العظيمة التي عنوانها « الحكاية الأزلية » وهي أشبه ما يكون بقصيدة شاعرنا المصري علي محمود طه التي عنوانها « الله والعالم » لا من حيث الموضوع ولا من حيث الفكرة ولكن من حيث ان القصيدتان تحملان في ثناياهما تأملاً عميقاً وفكرة تدور من حولها تمت الى الناحية الاستشراعية من الطبع الانساني .

ولا يسعنا إلا أن ننقل للقراء مطلع هذه القصيدة الباقية ففيه مجمل الاتجاه الذي اتجه به الشاعر ابو ماضي فيها ، وان كانت القصيدة من ألحانها الى ياؤها متعة شعرية رائعة :

كان زمان ، لم يزل كائنا	وحالة ، ما برحت باقيه
ملّ بنو الانسان أطوارهم	وبرموا بالسقم والعافيه
فاستصرخوا خالقهم واشتهوا	لو انه كونهم ثانيه
وبلغت أصواتهم عرشه	في ليلة مقمرة صافيه
فقال : اني فاعل ما اشتهوا	لعل فيه حكمة خافيه
وشاهدوه هابطاً من عل	فاحتشدوا في السهل والرايه
من القرى الكئيبة العارية	والمدن الضاحكة الزاهيه
تألبوا من كل صوب كما	تجتمع الأمطار في الساقيه
ويدفع الشيخ القوي عوده	وصار مثل الرمة الباليه
فتى مضى الفجر ولما تزل	روعه في وجهه باقيه
وتزحم الحسنة بمكورة	خلاية كالروضة الحالیه
دميمة تشبه في قبورها	مدينة مهجورة عافيه
فقال رب العرش ماخطبكم ؟	ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟
هل أصبحت أرضكم عاقراً	أم غارت الأنجم في هاويه ؟
أم أقلع الماء فلا جدول	وماتت الطير فلا شاديه ؟
أم فقدت أعينكم نورها	أم غشيت أرواحكم غاشيه
أين الهوى ان لم يكن قد قضى	فكل جرح واحد آسيه

وهكذا يمضي الشاعر يعدد مغالوبات الورى حتى يقول رب العرش لاورى « كونوا لما تشتهوه » فأخذهم الأسف لأنهم لم يجدوا جديداً بل وجدوا الأمر كما كان ، فالتبسح كان الجمال ، والخير كان الطلاح ، وليس من نقض ولا كمال .

والفكرة برمتها مأخوذة عن قطعة نثرية لكاتب إنجليزي لا أذكره الآن . ولكن الشاعر تصرف فيها ، فحلاها في حلة جديدة فيها كل الروعة وكل الجمال .

فهرس

الجزء الخامس من المجلد السابع بعد المائة

التدريبات : بحث فلسفي تصنيفي : اسماعيل مظهر	٣٨٥
دار الامارة او قصر بيت الدين	٣٩٠
إبل العم سام : وديع نادر	٣٩٣
فصل الخطاب في الاحلام : تقولا الحداد	٣٩٧
الفلسفة والانتخاب الطبيعي	٤٠١
الشمس : فهمي عطا الله	٤٠٥
تقدم العلاج : دكتور فريد فائق	٤٠٦
مدينة المستقبل	٤٠٩
المخترعات الحربية في الحياة المدنية : عوض جندي	٤١٤
جو جزيرة العرب : حمد بن محمد آل جاسر	٤١٨
الهمجي ج الهمج	٤٢٠
هل عرف العرب اميركة : الياس يعقوب	٤٢١
النقابة والتقاية	٤٢٨
الزجاج في الصناعة الحديثة	٤٢٩
العقيدة والعقيدى والمذهب العقيدى	٤٣٤
من حديقة أبيقور : محمد روجي فيصل	٤٣٦
المذهب العملي	٤٣٧
سيدة القصور : جمال الدين الشال	٤٣٨
الحل : بحث معجمي في اللاهوت	٤٤٢
الحياة سر الوجود : حنا خباز	٤٤٣
هداية العقل	٤٥٠
الفاروق عمر : احمد محمد شاكر	٤٥١
رعاية الامومة والطفولة : الدكتور حسن كمال	٤٦٥
الاشتراكية والعدل الاجتماعي	٤٧٠
المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق : السيد محمد رجب	٤٧١
اللاأدرية	٤٧٨
التسميع	٤٧٩
الجرايبات ونشوء الغدد الثديية	٤٨٠
الفيثامين والهرمون : دكتور بشير العظمة	٤٨٤
انواع النبات الطبي : محمود مصطفى الدمياطي بك	٤٩٠
مكتبة المتحف الاداء الحكومية . مشكلة البطالة . ابن باجة . رفاة الطهاوي . ابو حنيفة . ايليا ابوماضي .	٤٩١